عناصر الإبداع الفني في شعر خالد رشيد الجميلي (ت١٤٤٤هـ)

(ديوان حوار مع الدنيا)دراسة نقدية

إعـداد

دكتور/ حامد سعد على خضرجي جاويش

أستاذ الأدب والنقد المساعد

في كلية الدراساتا لإسلامية والعربية بنين بدسوق

جامعة الأزهر - مصر

١٤٤٦هـ- ٢٠٢٥م

عناصر الإبداع الفني في شعر خالد رشيد الجميلي (ت١٤٤٤هـ)
(ديوان حوار مع الدنيا)– دراسة نقدية

حامد سعد على خضرجي جاويش
قسم الأدب والنقد - كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بدسوق - جامعة الأزهر
البريد الإلكتروني:
Hamedkhadragy782.el@azhar.edu.eg

الملخص:

يلقي هذا البحث الضوء علىٰ تجربة إبداعية ذات أبعاد إنسانية لشاعر من شعراء العراق، وهو خالد رشيد الجميلي (ت ١٤٤٤هـ)، من ذوىٰ البصائر والمشاعر مرهفي الحس، من خلال ديوانه الماتع (حوار مع الدنيا)، ومبرزاً من خلال التحليل الفني عناصر الإبداع وإحكام النسج لدىٰ الشاعر الجميلي، وطريقته الحوارية الفريدة مع الدنيا عند البدء فىٰ نظم القصيدة .

ولقد استقرأ لنا هذا البحث الجوانب الفنية في شعر الجميلي من خلال دراسة لغة الشاعر ودلالاتها، والتكرار ووظيفته الشعرية، والثنائيات المتضادة وأثرها في إثراء الأسلوب، كما أفصح عن ثقافة الشاعر بالمورث الثقافي من ناحية استدعاء بعض الألفاظ التراثية سواء أكانت دينية أم عربية، كما أبرز الإبداع التصويري الذىٰ تميز به الشاعر، كما وضح منهج الشاعر فىٰ الإبداع الموسيقىٰ داخليا وخارجيًا وأنه من الشعراء المحافظين علىٰ الشكل العمودي الخليلي، متبعا فىٰ سبيل الوصل لذلك المنهج التحليلي.

كما انتهىٰ الباحث إلىٰ بيان ما تميز به الشاعر الجميلي وديوانه (حوار مع الدنيا)، وما به من صور إبداعية قد تميز بها شاعر من ذوي البصائر، ومن دقة واختيار

للألفاظ، فقد كان يجمع بين الخيال الواسع والدقة والفخامة، ما انطبع عليه من طبيعة عمله كأستاذ جامعي يعتني بالتدقيق والبحث فيما وراء الكلمات.

الكلمات المفتاحية:

الجميلي، حوار، الدنيا، الإبداع، عناصر، الموروث، الثقافي، البصائر، الدقة والفخامة، الجزالة، التضاد، التصويري، الخيال الواسع. مرهف الحس.

Elements of artistic creativity in the poetry of Khaled Rashid Al-Jumaili (d. 1444 AH) (Diwan Dialogue with the World) - a critical study.

Hamed Saad Ali Khadrji Gawish

Assistant Professor of Literature and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys, Desouk, Al-Azhar University, Egypt.

Emial:*Hamedkhadragy782.el@azhar.edu.eg*

Abstract:

This research sheds light on the creative experience with human dimensions of an Iraqi poet, Khaled Rashid Al-Jumaili (d. 1444 AH), a man of insight and sensitive feelings. This is demonstrated through his engaging collection of poems, "Dialogue with the World." Through technical analysis, it highlights the elements of creativity and the mastery of weaving in Al-Jumaili's poetry, as well as his unique dialogue with the world when beginning to compose the poem. This research has explored for us the artistic aspects of Al-Jumaili's poetry through studying the poet's language and its connotations, repetition and its poetic function, and the contrasting dualities and their effect in enriching the style. It also revealed the poet's culture of the cultural heritage in terms of summoning some traditional words, whether religious or Arabic. It also highlighted the pictorial creativity that distinguished the poet. He also explained the poet's approach to musical creativity, both internally and externally, and that he is one of the poets who maintains the Khalili vertical form, following the analytical approach in order to achieve this. The researcher also concluded by stating what distinguished the poet Al-Jumaili and his collection (Dialogue with the World), and what it contained of creative images that distinguished a poet of insight, and of the precision and choice of words, as he combined a broad imagination with precision and grandeur, which was imprinted on him from the nature of his

work as a university professor who was concerned with scrutiny and research into what lies behind the words.

Keywords: *Al-Jumaili, Dialogue, The world, Creativity, Elements, Cultural heritage, Insights, Precision and magnificence, Richness, Contrast, Pictorial, Broad imagination. Sensitive.*

المقدمة

الحمد لله بديع السموات والأرض ذي الجلال والإكرام، والصلاة والسلام علىٰ سيد ولد عدنان المخصوص بجوامع الكلم الحسان، وعلىٰ آله وصبحه أهل الفصاحة والبيان، وتابعيهم ومن تابعهم ما أضاء القمران وتعاقب الليل والنهار.

وبعد، ، ، ،

فإن الشاعر خالد رشيد الجميلي نتاجه الأدبي لا يزال بكراً رحب الدراسة، ومادته دسمة فيها بغية الدارسين، ومن ثم فإنه يستحق من الباحثين الاهتمام والجلوس علىٰ موائد شعره، ومن هنا جاءت فكرة تقديم عناصر الإبداع في شعره من خلال هذا البحث.

فعالم الإبداع الفني ميدان رحب يتنافس فيه الأدباء والشعراء خاصة مرهفي الحس، ولقد كان للجميلي عوالمه الإبداعية الخاصة بما حباه الله من ثقافة واسعة واطلاع متنوع، وبصيرة عوضه الله بها عن فقد بصره، فأبدع في لغته، فجاءت صوره حية تجسد لنا موهبته الفنية من خلال ديوانه (حوار مع الدنيا)، فأبدع في لغته وصوره، وصدح بصوت مرهف حلق به في عالم الخيال، معبراً عن آلامه وآماله، وآمال مجتمعه العراقي، وطموحات أمته العربية، فجاءت هذه المحاولة من خلال هذا البحث المعنون بـ (عناصر الإبداع الفني في شعر خالد رشيد الجميلي(ت١٤٤٤هـ) (ديوان حوار مع الدنيا) دراسة نقدية).

والهدف من هذه الدراسة الوقوف علىٰ طبيعة الإبداع والتجربة وطرق توظيف العناصر فيها لدىٰ شاعر من الشعراء المعاصرين، عراقي الجنسية، من ذوي الإعاقة (فقد البصر) حيث قام الباحث بدراسة النصوص وبيان ما بها من روائع فنية، وقيمة جمالية تتعلق باللغة والصورة والموسيقىٰ منبهاً علىٰ بعض الهنات ــ إن وجد ـ.

وقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التحليلي النقدي، الذي يُعْنَىٰ بتحليل النماذج وبيان ما تميز به الشاعر من إبراز ما بها من درر، وقد خصص لكل عنصر إبداعي محوراً قائمًا بذاته ابتداءً من اللغة وحتىٰ الموسيقىٰ داخلية وخارجية.

فعقدت العزم وسألت من الله العون فهو نعم المولىٰ ونعم النصير.

وقد قسمت بحثي هذا إلى مقدمة، وتمهيد، وستة محاور، وخاتمة.

أما **المقدمة** فقد بينت فيها دافع اختياري لهذا البحث، ثم أوضحت أهميته في مجال الدراسات الأدبية، والتخطيط الذي احتواه.

وفي **التمهيد**:تحدثت فيه عن التعريف بالشاعر، ومكانته الاجتماعية، وعرضا سريعًا لأهم موضوعاته الشعرية.

وجاء **المحور الأول**: ليتحدث عن اللغة ومقدرتها الفنية، وأهم ما تتميز به من دلالات.

ثم تناولت في **المحور الثاني**: التكرار ووظيفته الشعرية، وأنه أسلوب قد برز في شعره بصورة لافته.

وأما **المحور الثالث**: فقد تحدثت فيه عن الثنائيات المتضادة وهىٰ أبرز العناصر أيضا.

وجاء **المحور الرابع**: ليفصح عن ثقافة الشاعر بالمورث الشعرىٰ، فتناولت فيه التناص ودلالاته.

وفىٰ **المحور الخامس**: كان الحديث فيه عن الإبداع التصويري، وحرفيته في نسج الصورة دونما يراها.

والمحور السادس: كان خاصا بالإبداع الموسيقىٰ، داخليا وخارجيا

وتأتي خاتمة هذا البحث لتسجل أهم النتائج التي أسفرت عنها الدراسة.

التمهيد: (ومضة على حياة الشاعر وشعره)

الشاعر خالد رشيد جاسم الجميلي، أستاذ جامعي وشاعر عراقي، أحد أبناء عشيرة(البوم مطر)التىٰ تنتمي إلىٰ قبيلة الجميلة القيسية، ولد عام(١٣٦١هـ)، الموافق عام(١٩٤٢م)، شهدت مولده منطقة المشاهدة في بغداد الكرخ.

وجاء الجميلي إلىٰ الدنيا وتنسم نسمات الحياة سليما معافىٰ، ولكن شاءت الأقدار أن يصاب في عينيه بعد ستة أشهر من ولادته فيمسي كفيفا قد ذهب بصره لكنه ذو بصيرة لا يتمتع بها المبصرون، وذو همة علىٰ تحصيل العلم لا يستطيعها الأصحاء، إذ نجده يسجل ذلك في شعره قائلا:

جئت لدنيانا غزالاً كالقمر بعد ست من شهور صرت مكفوف البصر(١)

نشأ الجميلي في أسرة عريقة دبلوماسية محبة للعلم والأدب، حيث كان أخوه الأكبر عبد المجيد الجميلي وزيراً للمواصلات، ثم وزيراً للزراعة والإصلاح الزراعي، وكذلك كان أخوه الدكتور عبد الستار الجميلي أستاذاً جامعيًا ومحاميًا فذاً لدىٰ المحاكم، كما عمل أخوه عبد الحميد الجميلي مديراً عامًا للقصر الجمهوري لعدة سنوات، ثم تولىٰ وزارة العدل بعد ذلك، أما أخوه الأستاذ عدنان الجميلي فقد تدرج في السلك الدبلوماسي حتىٰ صار من كبار موظفيه(٢).

أما عن حياته العلمية والتعليمية فقد كانت حافلة بالنجاحات والجد والنشاط، إذ كانت تبدو عليه مخايل الذكاء والفطنة منذ نعومة أظفاره؛ ولهذا كثفت

---

(١) ديوان حوار مع الدنيا تأليف / خالد رشيد الجميلي (ت ١٤٤٤هـ) ، دار رواد المجد ت. ط: صـ ٧.

(٢) سيرة أد / خالد رشيد الجميلي (ت ١٤٤٤هـ) ، بقلم وليد الحلبوسي: ٣.

الأسرة في تحصيله الأوَّلىٰ للعلم، فكان يذهب لتلقىٰ العلم في مدرستين في المرحلة الابتدائية، كان يدرس في مدرسة (تعليم القرآن الكريم) صباحًا، وفىٰ الوقت ذاته كان يدرس في مدرسة (الكرخ الابتدائية) مساءً ولما اختتم المرحلة الابتدائية، واصل تعليمه في المرحلة الإعدادية، ثم المرحلة الثانوية، ثم التحق في المرحلة الجامعية بكلية الشريعة – جامعة بغداد، متخصصا في الشريعة والآداب، وفىٰ القسم ذاته حصل علىٰ (الماجستير) في رسالته التىٰ تقدم بها لذاك القسم، وكان عنوانها(الدية وأحكامها في الشريعة الإسلامية) وقد تمت طباعتها ونشرها وتداولها، أما (الدكتوراه) فقد حصل عليها من أرض الكنانة من جامعة القاهرة، وكان عنوانها(أحكام البغاة والمحاربين في الشريعة الإسلامية والقانون)، وقد حصل عليها بتميز، مما جعل رئيس الجمهورية- المصري- يكرمه وقتئذ؛ لكونه كفيفًا قد صارع الحياة وتغلب علىٰ شدائدها حاصلا علىٰ أعلىٰ الدرجات العلمية، ولهذا جعل الكثير يشبهه بالدكتور (طه حسين) لوجود عوامل كثيرة مشتركة بينهما.

وعن وفاته توفي رحمه الله بعد مسيرة حافلة بالإبداع والعطاء والتضحية عن عمر يناهز ثمانين عام، حيث جاءت وفاته (رحمه الله تعالىٰ) فىٰ السادس والعشرين من محرم عام (١٤٤٤ هـ)، الموافق الأربعاء الرابع والعشرين من شهر أغسطس عام (٢٠٢٢م)، وكان ذلك في بيته بمنطقة عامرية ببغداد، ودفن في مقبرة الكرخ الإسلامية في ناحية النصر والسلام [(١)].

أما عن آثاره العلمية والأدبية فقد قدم خلال مسيرته الحياتية العديد من المؤلفات والأبحاث من أهمها:

---

(١) سيرة أد / خالد رشيد الجميلي (ت ١٤٤٤هـ) ، بقلم وليد الحلبوسي: ١٠.

١- أحكام البغاة والمحاربين في الشريعة الإسلامية والقانون، جزآن، ط١، دار الحرية للطباعة، بغداد، عام ١٩٧٩م.

٢- أحكام الأحلاف والمعاهدات في الشريعة الإسلامية والقانون، جزآن، ط١، دار الحرية للطباعة والنشر عام ١٩٨٧م.

٣- أحكام الخصاصة والتثمير والاستثمار في الفقه الاقتصادي الإسلامي.

٤- أحكام الضرر الأدبي والمادي في الشريعة الإسلامية والقانون، مركز البحوث، ديوان الوقف السني، بغداد، عام ٢٠٠٧م.

٥- أقباس الرحمن في أدلة نفيٰ العجمة عن القرآن، ط١، دار الشؤون الثقافية، العامة، بغداد، عام ٢٠٠٢م.

٦- تحليل المعاهدات المبرمة في عهد الرسول ﷺ- مركز البحوث، ديوان الوقف السُنِّي عام ٢٠٠٨م.

٧- تحليل المعاهدات المبرمة في عهد الخلفاء الراشدين- مركز البحوث، ديوان الوقف السني عام ٢٠٠٩م، وغيرها، وله أبحاث كثيرة منشورة(١).

وحياته الأدبية حافلة بقصص قصيرة كان مولعا بها في شبابه، كتبها من واقع الحياة فليست ضربا من الخيال، وكان متأثرا في كتابتها إلىٰ حد كبير بالكاتب الكبير (يوسف السباعي)، حيث جاءت قصصه ترجمةً لواقعه الاجتماعي المعاصر، ولعل الذي خدمه في ذلك عمله في حقل الإرشاد التربوي في كلية الشرطة، مما سهل له الاطلاع علىٰ الكثير من الحوادث التىٰ وقعت بالفعل فينقلها عن طريق ما يقدمه من

(١) راجع سيرة أد / خالد رشيد الجميلي (ت ١٤٤٤هـ) ، بقلم وليد الحلبوسي: ١٠-٢٠.

قصص ثم يتعمد أن يضع لها حلاً وعلاجًا ناجعًا لعله بذلك يكون قد أدىٰ واجبه في سبيل خدمة مجتمعه(١).

وأما ديوانه الذي نحن بصدد الحديث عنه وهو(حوار مع الدنيا)، وهو النتاج الشعري الوحيد للشاعر، وقد أجراه متحاورا مع الدنيا حيث قد جرد منها صديقا، يتفاعل مع مشاعره وانفعالاته، حيث يطلب منه النظم في غرض ما وأمر قد جد، وهو ولا يجد عن ذلك من بد، ولا يستطيع له رداً، وهو أمر جديد ومبتكر، لا أرىٰ مثله كثيراً في دواوين الشعر قد ظهر بهذه الطريقة، غير أن ديوانه لم يلق اهتمامًا وعناية من الدارسين، حيث لوحظ العديد من الهنات فىٰ ضبط الأبيات، وكذا وردت أبيات كثيرة مكسورة الوزن بسبب زيادة بعض الحروف أو غيابها علىٰ نحو ما سنبينه في حينه عند الاستشهاد بها، ناهيك عن أبيات أخرىٰ لم يرد ذكرها، ونلتمس له العذر لفقد بصره، ولعل الله سبحانه قد قيد له هذا البحث حتىٰ يظهره بصورة لائق -ما أمكن- للدارسين.

وعلىٰ هذا المنوال الحواري صار الجميلي ينسج قصائده في أغراض شتىٰ، حيث نظم في الوطنية والرثاء، والمديح والمرأة، والوصف والصداقة، والحب والعتاب، والتصوف والشعر الديني، حيث قد جاءت قصائده مفعمة بالألم ينتشيها الحزن والأسىٰ، حتىٰ قصائده التي قالها في المرأة، فنراه يتذلل علىٰ نسق أهل الغرام الذين يتذللون في هوىٰ المحبوب، وإمامهم في ذلك (البهاء زهير) الشاعر المصري المعروف(ت ٦٥٦هـ)، وأخذوه عنه أهل العراق(٢)، ومن ثم كان ظاهرا في شعر

---

(١) الديوان: ١٨٨.

(٢) راجع كتاب قلائد الجمان فىٰ فرائد شعراء هذا الزمان (المشهور بـ عقود الجمان فىٰ شعراء هذا الزمان) لكمال الدين أبىٰ البركات المبارك بن الشعار الموصلي، تحقيق كامل سليمان الجبوري، إذ يحتوىٰ هذا الكتاب علىٰ أشعار كثيرة في هذا المذهب لطائفة كبيرة من شعراء أهل العراق.

الجميلي، وربما كان ذلك لظروف حاكت به في صغره من عيٍّ أصاب عيناه، فأفقده بصره، فهو القائل في محبوبته مي: (مخلع البسيط)

كم من قتيل في هواها ... لكن قلبي كالأسير

يا ليتني ميت لعلىٰ ... أنجو من الحب العسير

ذلَّ الهوىٰ العذري قلبي ... والذل نار في ضمير

يا مي جودي بالوصال ... أصبحتُ رسمًا في السرير(١)

وعلىٰ نغمات هذا المذهب سار الجميلي متغزلاً في(مي)وغيرها متبعا لهذا المذهب الغرامي، الذي يدل علىٰ شدة وله الشاعر في هوىٰ محبوبته، وتضوعه عشقا وغرامًا، وقد نظم في الغزل سبع عشرة قصيدة (البرق الخاطف- مناجاة الحبيبة- خطوبة- مناجاة النوم- إحدىٰ المدرسات الفاضلات- مي- من وحي الظما- إغاظة القمر- لهيب الظمأ- طيف الحبيب- سلوتي- إلهام- وحي الفراق- الزينبية- سلافة الأرواح- العاطفية- الهمزية)، ولعل هذه العناوين كعتبة نصية خير دليل علىٰ هذا المذهب الغرامي الذي اتبعه الجميلي في غزله.

ويعد الرثاء من أكثر الأغراض التي نظم فيها الجميلي، وقد جاءت تقطر ألما وحزنًا علىٰ إخوانه وأقرانه الذين تخطفتهم يد الردىٰ، وقد نظم في هذا الباب ثمان عشرة قصيدة (رثاء الأرواح – رثاء سعيد حليبي- دموع الطالب- دموع القلب- رثاء أخيه عدنان- البدر الآفل- رثاء القلب- رثاء عبد الستار الجميلي- رثاء إبراهيم المدرس- رثاء مصطفىٰ الزلمي- دمعات وعبرات وزفرات-رثاء العين- بكاء الليل- رثاء صديق-رثاء طه جابر العلواني- رثاء موفق العاني- رثاء البطل رائد الخابي– رثاء الشباب)، وواضح جداً أن أكثر رثائياته كانت في أهل بيته وأصدقائه،

(١) الديوان: ١٤٨.

وهذا النوع من الرثاء يكون الشاعر فيه صادق المشاعر بلا ريب، بخلاف الرثاء الاجتماعي، الذىٰ لا يعدو سوىٰ أن يكون مجاملة لأهل الفقيد، ومن أكثر القصائد بكاءً وألمًا رثائه لعينيه وهو أمر مبتكر وجديد في بابه حيث يقول في قصيدة (رثاء العين): (من الطويل)

دعوني علىٰ عيني أشق وألطم ... فلا خير في الدنيا إذا النور مبهم
سجين من المهد إلىٰ اللحد باكيًا ... وبعد حساب القبر الخلد يرسم
تذكرت أيام الصبا في شبيبتىٰ ... فكان الصبا نارا تفور وتكظم
وأقبح بأيام الشباب (فإنها) [1] ... ظلام وحرمان وهجر مركم
أعيني قوما للقضاء سوية ... فلا بد من جان يدان فيحكم[2]

وإن كان المصاب جلل فالصبر علىٰ ابتلاء الله محمود، والجزع مذموم، ولا يصح بحال من الأحوال، لا سيما إذا كان من عالمٍ متخصصٍ في علوم الشريعة، فهو قدوة لغيره، فالحزن أمر وارد لكن الجزع منهي عنه، حيث قال ﷺ: "ليس منا من شق الجيوب، ولطم الخدود، ودعا بدعوىٰ الجاهلية"[3] وقد صرح بذلك في البيت الأول.

وقد أكثر من رثاء إخوانه وأقرانه وأساتذته وخلانه، والبكاء عليهم بكاءً مريراً، لكنه بلا شك كان أكثر عاطفة وأحرها في رثائه لأشقائه، ولا أدل علىٰ ذلك من قوله يبكي أخاه الكبير الأستاذ عبد المجيد الجميلي بكاءً حاراً فيقول: (من الوافر)

---

(١) وردت في الديوان بأنها والصواب فإنها.

(٢) الديوان: ١٤٢.

(٣) إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين، مسند أحمد، تأليف/ أبي عبد الله الشيباني، ت/ شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، مؤسسة دار الرسالة، ط١ / ٢٠٠١م: ٧/ ١٨٤.

لقد جفت دمائي في وريدي فإن الخطب في عبد المجيد
وأضحىٰ القلب يعصره الفراق (إذا الدنيا سواه جوىٰ وقود)[١]
يمين الله أحببت فداه ولم أبخل بروحي أو وليدي
ولكن القضاء بلا اختيارٍ كأنّا ريشةٌ بين الوجودِ[٢]

فلشدة الخطب وفداحة الجوىٰ نجد أن الدموع قد تجمدت في عينيه، والدماء قد جفت في عروقه، كناية عن شدة الحزن علىٰ فراق أخيه الأكبر، وأستاذه الذىٰ تربىٰ علىٰ يديه، ونهل من علمه، وسار علىٰ نبراس خلقه؛ لدرجة أنه لو طُلب منه أن يفتديه بنفسه لاختار ذلك، لكنه قضاء الله الذىٰ لا رد له ولا معقب لأمره.

كما أنه كان مَعْنِي بقضايا وطنه العراق علىٰ وجه خاص وبقضايا العالم العربي والإسلامي بصفة عامة، حيث قد نظم في هذا الصدد تسع عشرة قصيدة وهىٰ: (الدموع الحامية علىٰ الفلوجة الدامية، عيد الدماء، وفلوجة الآلام، بغداد ملحمة الجهاد، وطلل في الكرخ، ونشيد العرب، حي المأمون، ذوبان القلب، ونشيد القدس، والوحدة التي أعلنت في بغداد، ولبيك غزة، الهجرة إلىٰ بغداد، النصح إلىٰ بغداد، التقريب بين المذاهب، نشيد الحق، أطلال الصبا، قيثارة الأهرام، خطوب حلب، العودة إلىٰ العهد النبوي المقدس، المنهج السياسي الإسلامي)، فعلىٰ سبيل المثال نجده يذرف الدموع الغزار علىٰ ما أصاب بنىٰ وطنه وقوميته في قصيدة (الدموع الحامية علىٰ الفلوجة الدامية) حيث يقول: (من الكامل)

فلوجة العرب الكرام ألا انْعم فلأنت عرس فراتنا فلتسلم
حمادنا خضب جبينك بالدم وا رفعة برج الشمس تاج المسلم

(١) هكذا ورد بالديوان وهو مكسور ولا يستقيم الوزن إلا إذا قلنا (إذا الدنيا سواه جوَّ قود) .
(٢) الديوان: ١١٣.

كم من فلوجيٰ شهيد قد سما ... ودماؤه مسك بحور المنعم

حمادنا ليث الأسود لقد ثوىٰ ... ما وردة الأعراس إلا من دم

يا حامدا هلا شهدت زفافه ... قد زف للحوراء فارقص وارحم(١)

ففي الأبيات السابقة تحدث الجميلي عن شهداء بنيٰ وطنه وما أكثرهم، حيث قد سمت أرواحهم ونالوا الشهادة في سبيل الدفاع عن أوطانهم، وفيٰ الوقت ذاته في القصيدة ذاتها لم ينس البلاد العربية الأخرىٰ فيقول: (من الكامل)

يا يعربًا من شامنا إعصارُنا ... آتٍ إلىٰ صنعاءَ لم تتوجم

دمدمْ وزلزلْ عاجلاً بِهِمْ الثرىٰ ... لا يطفئ البركان غير المرجم

(إحْمل) (٢) صخور الأخشبين بساعد ... صوب بعين الله رمية مسلم

(إرفع) (٣) كتاب الله واركض عاجلاً ... أَوَ صِرْتَ أندلس الفنا فتقدم(٤)

وعلىٰ الرغم من الظروف الصعبة التي تمر بها بلاده من قتل ونهب وتدمير شامل من قبل العدوان الغاشم، إلا أنه لا ينس البلاد الشقيقة، إذ ينادىٰ نداءً مرخمًا فيه الألفة والشفقة والحنو علىٰ أهل تلك البلاد من الشام واليمن والمملكة العربية السعودية، بأن لا يغفلوا عن مناهضة العدو والحذر منه، فعدو العرب جميعًا واحد، فيستيقظ منهم الهمم ويثير فيهم النخوة والغيرة علىٰ بلادهم، مذكراً إياهم بما حدث للأندلس من ذي قبل لما أهملها أهلها وسلموها لعدوهم، فصارت خرابًا بعد

(١) الديوان: ٩٥.

(٢) الهمزة للوصل وليست للقطع، وفيٰ الكتابة العروضية تنطق قطع لأنها فيٰ أول الكلام.

(٣) كالفعل السابق، وليس بالضرورة ترسم الهمزة للقطع، والصحيح (احمل – ارفع) .

(٤) الديوان: ٩٥.

عمارها، وصار أهلها أذلة بعد عزهم وفخارهم، ولا ينسىٰ قضية العرب جميعًا الأقصىٰ ذلكم الجرح الغائر في القلوب؛ فيقول في القصيدة ذاتها: (من الكامل)

نبكىٰ علىٰ الأقصىٰ وننـدب جرحـه ... فتيقظـوا فالعـار داء النـوم

القتـل ثـم المـوت طعـمٌ واحـدٌ ... لكـن طعـم الحـور أروع ميسـم

(يـا أمتـي الشـر يبغـىٰ قبلتـي) [1] ... مـا بعـد مكـة غيـر ليـل معـتم

مـا بعـد مكـة غيـر جـرح نـازف ... مـا بعـد مكـة غيـر طعـم العلقـم[2]

في الأبيات السابقة دعوة إلىٰ الأمة العربية بالاعتصام بحبل الله جميعًا في مواجهة أعداء الأمة جمعاء لا سيما أن قبلتهم واحدة ووجهتهم واحدة، ولقد وعدهم الله إن جاهدوا عدوهم إحدىٰ الحسنين إما النصر وإما الشهادة.

وقد كانت هذه هي أبرز الأغراض التي نظم فيها الجميلي ديوانه (حوار مع الدنيا)، وقد نظم في موضوعات أخرىٰ كالصداقة والعتاب، والشعر الصوفي، والسياسة الإسلامية، والمدائح النبوية، ومن أبرز تلك المدائح قصيدته (نبي الهدىٰ) التىٰ يقول فيها: (من المتقارب)

نبـي الهـدىٰ أنـت نـور الأنـام ... أغـرٌ إمـامٌ لكـل إمـام

نبـي الهـدىٰ أنـت ومـض النجـوم ... وحـد الحسـام ودنيـا السـلام

لأهـديك روحـي وشـعري وسـفري ... وهـذا لعمـري لنـزر السـجام

لأنـك قـد (أنقـذتنا) مـن فنـاء ... لأنـك قـد (أخرجتنـا) مـن ظـلام[3]

---

(١) هكذا ورد هذا الشطر مكسور الوزن فىٰ الديوان .

(٢) الديوان: ٩٥.

(٣) الديوان: ١٠٦، وهكذا ورد البيت الأخير مكسور، والصواب (انقذتنا- اخرجتنا) بهمزة وصل.

وحب الجميلي لسيد الأنام (ﷺ) واضح في كل مدائحه النبوية لا يحتاج إلىٰ تعليل، ولكن التعليل فيه ضرب لإقناع غيره بأن الرسول الكريم-ﷺ- صمام أمان للبشرية كلها ومنقذهم جميعًا في الدنيا والآخرة ومخرجهم من الظلمات إلىٰ النور.

المحور الأول: اللغة ودلالاتها

واللغة هي إحدىٰ العناصر الإبداعية التي يتكون منها النص الشعرىٰ، بل هو الأساس الذي يقوم عليه البنيان الشعري، وأحد أهم دعائمه وركائزه الأساسية، فلا يمكن لنا أن نحكم علىٰ أي شاعر إلا من خلال ألفاظه ومعانيه.

وقد شغلت هذه القضية النقاد قديمًا، فمن القائل بأن الإبداع يظهر من خلال الألفاظ الفخمة، ومن قائل، بل يظهر ذلك من خلال المعاني النبيلة، ولِمَ لا يكون من خلالهما معا، والمساواة بين طرفي المعادلة؟ لفظ جميل يحمل معنىٰ طريفًا، فعبقرية أي شاعر تظهر من خلال معجمه اللفظي وطريقته في صوغ المعاني، ولو تتبعنا نتاج شاعر من الشعراء لوجدنا له من الألفاظ والتراكيب الخاصة به التي يستخدمها من خلال نتاجه وموروثه الثقافي وبيئته التي عاش فيها.

ونحن بصدد الحديث عن شاعر تميز بأنه أستاذ جامعي تربىٰ وعاش علىٰ حسن اختيار الكلمة وكيفية استخدامها والإحساس بها والتعامل معها، ومن ثم فلا غرابة أن تأتي لغته فخمة جزلة، كما أن ظروف حياته وما قدر له أن يعيش في هذا الفضاء الفسيح المظلم، وبما قد من الله عليه من خيال واسع، ولعل أول ما يطالعنا من عظمة العبقرية هذه العتبة الدلالية التي وضعها عنوان ديوانه (حوار مع الدنيا) ما يجعل القارئ يقف وقفة تأملية مع هذا العنوان، كما يصدمك للوهلة الأولىٰ بأن ثمة تفكير غير تقليدي كما يقولون (خارج الصندوق)، كما يضعك في قلب الحدث والتفاعل مع الواقع، من خلال هذا التجريد العجيب، هذا هو العنوان الذىٰ اختاره الشاعر (خالد رشيد الجميلي) لديوانه الوحيد وهو غير تقليدي، بما أحدثته هذه المعادلة، الطرف الأول فيها الحوار والثاني الدنيا والرابط بينهما حرف الجر(مع)إذ إنه ليس

مجرد عنوان وضع؛ ليكون مجرد علما علىٰ ديوان، وإنما هي العبقرية والابتكار منذ البداية، بل إنه تجريد يحمل في طياته جملة من الدلالات والعبارات والإشارات، والإيماءات والانفعالات، وبث الشكاوىٰ والآهات، ويبدو ذلك جليا من خلال العناوين الفرعية التي صاغها علما علىٰ قصائده مثل: (عيد الدماء – رثاء الأرواح- البرق الخاطف- دموع الطالب- دموع القلب- البدر الآفل- رثاء العريس- رثاء القلب- فلوجة الآلام- دموع الوفاء- دمعات وعبرات وزفرات- بكاء الليل- ذوبان الفؤاد- لهيب الظمأ) كل هذا يؤكد علىٰ اللون القاتم، والحزن الجاسم علىٰ صدر الشاعر منذ البداية، وقد عبر عن هذه المعاناة في مقدمة ديوانه قائلاً: (من الرمل)

ذاب قلبي في هواكِ يا سمر ... فارحميني بحديث في السحر

يذهب الأشجان عنىٰ والجوىٰ ... ويعيد بسماتي والنظر

يوسفيٌّ حسن ليلىٰ مثبت ... بوجود الله من سحر الصور

شفتاها ورقتا زهر عطر ... أو كياقوت من النار انصهر

شعرها ليل شتاء غائم ... وجهها فجر ربيع قد ظهر

أنفها عقد بنان من درر ... فمها فيه الآلي مستتر

جئت دنيانا غزالاً كالقمر بعد ... ست من شهور صرت مكفوف البصر(١)

فالأبيات السابقة رغم أنها قيلت في الغزل لكنه غزل يحمل كمًّا من المعاناة والشحنات النفسية المكبوتة، جراء الأغلال التىٰ بها قد قيد منذ الصغر، فيختار الجميلي من الألفاظ والتراكيب ما يعبر به عن مكنون صدره، وخلجات قلبه من غزل رقيق مشوب بالآلام، ومن ثم فقد كان البدء بالفعل(ذاب) ما يدل علىٰ ذلك، تلك الرقة تشع من ألفاظه ذات الجرس الموسيقي(سمر- سحر- شجن- جوىٰ)،

(١) الديوان: ٧، والبيت الأخير هكذا ورد بالديوان مكسور الوزن.

وكذلك(زهر-عطر- فجر- ربيع)، هذه الألفاظ تعكس أيضا ارتباط الشاعر ببيئته و مدىٰ إيمانه بها، وما ترمز إليه من حب للحياة والتفاعل معها، لكنه سرعان ما يبرز لنا تلك الأغلال التي تقيد بها داخل سور مظلم فيستخدم من التراكيب ما يدل علىٰ ذلك مثل (شتاء غائم)، (مكفوف البصر)، وهكذا حرص الجميلي علىٰ اختيار ألفاظه وتعبيراته التىٰ تتناسب مع حالته النفسية الداخلية، وما فيها تعبير صادق عن بيئته وواقعه المعايش، لكن ثمة جامع بينها وهىٰ أنها تم التقاطها من وادي الرقة والفخامة.

كما نرىٰ عمل الجميلي كأستاذٍ للشريعة الإسلامية يؤثر علىٰ ألفاظه، فيؤثر اللفظة القرآنية، وتشيع المصطلحات الفقهية في شعره، وذلك ما جاء في حديثه عن نصرة الوطن، لإيقاظ الهمم، وإشعال جذوة الكرامة والعزة في النفوس، فيدعو بنىٰ وطنه أن يهبوا للدفاع عن وطنهم وقوميتهم، وإلا صاروا أذلاء بعد عزة حيث يقول في قصيدته (الدموع الحامية علىٰ الفلوجة الدامية): (من الكامل)

احمل صخور الأخشبين بساعد ... صوب بعين الله رمية مسلم
ارفع كتاب الله واركض عاجلاً ... أَوَ صِرْتَ أندلس الفنا فتقدم
هيا ارتدوا الأكفان حلية عرسكم ... أو قدم العذراء عبدة مجرم
ليلىٰ وسلمىٰ جزية لعدوكم ... كسرىٰ وقيصر في الزمان المكرم
يا أحمديُّون اعلموا يوم الأسىٰ ... فيه إبادتهم بنصر المنعم
تالله ما الإعصار إلا قادم ... وليعلموا صرح العلا لم يهدم
يا عرب هذا يومكم فتوحدوا ... فرض الجهاد أجل فرض المسلم
إن حل فرض الحج في لجج الوغىٰ ... فالقتل أجمل من لباس المحرم
الحرب أفرض من عبادة مؤمن ... الحرب مصداق الشهادة فاقدم
تطوان حتىٰ حضرموت جميعهم ... قد صاغها طه سوار المعصم

مـــن ذا يوحـــد أمتـــي يـــا حســـرتىٰ إســـلامنا المحبـــوب خيـــر مبلســـم(١)

ومهما حاول الشاعر لابد أن يطرأ علىٰ لسانه الموروث الثقافي المستخدم في حياته اليومية، وإن كان في إطار الدفاع عن وطنه والاعتزاز والافتخار بماضيه الحافل بالعزة والكرامة فذكر لفظة (جزية) وهىٰ لفظة قرآنية ورد ذكرها في قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾ (٢)، وقد ذكرها هنا ليثير النخوة في نفوس قومه، تلك الجزية التىٰ كان يدفعها أهل الكتاب الذين يسكنون في ديار المسلمين نظير حمايتهم، فانتبهوا خوفاً أن يتبدل الحال ويصبح المسلمون في ضعف وهوان إن لم يهبوا لنصرة دينهم ونجدة وطنهم وإنقاذه من أعدائهم، وإلا قاموا هم بدفع الجزية لأعدائهم ولكن ليست مالا، وإنما تقدم من أعراضهم، جراء التهاون والتنازل عن الكرامة، ومن ثم اختار هنا من الأسماء (ليلي، وسلمىٰ) ليشعر بعزة الماضي، كما اختار أيضا (كسرىٰ، قيصر) ليشعر بغلبة المسلمين يومئذ وتسيدهم، هذا فضلا عن استخدامه لبعض الألفاظ الفقهية مثل: (فرض المسلم- فرض الحج- لباس المحرم- عبادة المؤمن- مصداق الشهادة).

فما من قصيدة نظمها الجميلي إلا وقد أتىٰ فيها بألفاظ فقهية، تحمل معانىٰ إسلامية، فقد استطاع أن يكوّنَ معجما خاصا به بين الشعراء المعاصرين، حيث قد طغت عليه المهنة وصبغت شعره هذه الصبغة التىٰ قد تميز بها بين الشعراء، وهذا قمة الإبداع أن يخلق الشاعر عالمه الشعر الذىٰ يتميز به عن غيره من شعراء جيله، فنرىٰ هذا التشبع بالروح الدينية الوسطية التىٰ تحافظ علىٰ الوطن كنسيج واحد، فيبرز لنا

(١) الديوان: ٩٥.

(٢) سورة التوبة من الآية (٢٩).

من خلال هذا الفكر الوسطىٰ، حيث تتآزر الألفاظ والأساليب من خلال دعوة الجميلي بنىٰ وطنه إلىٰ الاتحاد والترابط فيقول لهم: (من الطويل)

تشيع تسنن أنت والله مسلم ... ومن لم يقل مثل الذي قلت مجرم
هو الله ربي والنبي محمد ... كتابي لقرآن كريم مكرم
وأركان إسلامي صلاة شهادة ... وصومٌ زكاةٌ ثم حجٌّ متيم
توجه محل المسلمين لكعبة ... هو البيت ساقيه قريش وجرهم
وأي خلاف بين دين محمد ... هلموا إلىٰ الإسلام للنجم نرسم
أبونا لإبراهيم قد قال ربنا ... (وأمتنا واحدة في الكتاب ألا أعلم) (١)
جناحاي في الإسلام حب ووحدة ... أجيبُ الجميلي وإلا ستندم(٢)

فالناظر في ألفاظ هذه الأبيات يجد أنها صادرة من مفكر إسلامي مفعم بالمنهج الديني الوسطىٰ، موضحا فيها أركان الإسلام الخمسة، فالمسلمون مبدؤهم واحد وهدفهم واحد، نبيهم واحد وربهم واحد، وقبلتهم واحدة، وأي خلاف من شأنه يفرق بينهم، ويشتت شملهم، كان لزامًا عليهم أن ينحوه جانبًا، إذ يجب عليهم أن يعلموا أن عبادة الله وحده تشملهم وتجمعهم، فمن ذلك هلال شهر رمضان يجمع المسلمين ويوحد رؤاهم وتوجههم، هذا فضلا عن قبلة أبينا إبراهيم وأنه من قبل قد نادي بهذه الوحدة ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ (٣)، فكلها ألفاظ ومعاني فقهية قد أتىٰ بها الجميلي؛ ليدعم بها فكره الوسطىٰ مؤكداً بها علىٰ صدق دعوته، وحرصه علىٰ وطنه وبني قومه.

---

(١) هكذا ورد هذا الشطر مكسور الوزن في الديوان.

(٢) الديوان: ١٨٥.

(٣) سورة الحج من الآية (٧٨).

ولئن كان الجميلي يحتفي بالألفاظ القرآنية والمصطلحات الفقهية في شعره فإنه لا يغفل ذكر بعض الألفاظ التراثية البدوية مثل ما جاء في قوله:

أفلــوج إن الضــيف أضــحىٰ مقيــداً بغــــزلانكم حيـــث الســـراب رواء

كجلمـــود صـــخر لا يـــرق لحالـــه وتأتيـــه ظبـــيٌّ في الخيـــال عطـــاء(١)

فلفظة (جلمود صخر)، وهي مما لا يخفىٰ من اختراعات الجاهلية الأولىٰ وهي من ألفاظ امرئ القيس حيث قد وردت في معلقته الشهيرة حينما قال:

مِكَـــرٍ مفـــرٍ مقبـــلٍ مـــدبرٍ معـــًا كجلمـودِ صـخرٍ حطـه السـيلُ مـن عـلٍ(٢)

كما نجد في ألفاظ الجميلي الاحتفاء بذكر أسماء الأماكن والبلدان في شعره؛ رغبة منه في التنفيس عن الأنا الشاعرة، فيذكر مكانا علىٰ سبيل المثال يرتبط بحب له لم يحظ به مثل قوله في(قصة شعرية): (من الرمل)

يـــا ســـعاد الكـــوت رفقـــا بالقـــدر قـــد أصـــاب الســـهم مكفـــوف البصـــر

مـــا جنـــىٰ ذنبـــا ولكـــن قســـمة كـــل (مقصـــوم) (٣) بلـــوح قـــد ســـطر

قـــد يـــدور الـــدهر يومـــا دورة تجعـــل الظـــالم أعمـــىٰ قـــد ثبـــر

هـــو عـــدل الله فاخشـــوا بطشـــه لـــو يـــدوم الـــدهر مـــا كـــان القبـــر(٤)

ونلاحظ أنه كلما ذكر أسماء أماكن في بلده العراق كان ذلك مرتبطًا بالتنفيس عن حب ومعاناة نفسية جراء فقد بصره فيبدو منكسراً، وقد يكون الربط بين ذلك أن فقد بصره قد يقف حائلا بينه وبين حبه، وقد تكون أسماء النساء التىٰ يذكرها رمزا

---

(١) الديوان: ١٠٣.

(٢) جمهرة أشعار العرب – لأبي زيد القرشي – ت/ محمد علىٰ البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، صـ: ١٣٥.

(٣) هكذا وردت بالديوان والصحيح (مقسوم) حتىٰ يستقيم المعنىٰ.

(٤) الديوان: ١٠٨.

لبلاده الخصبة لكن الأوضاع التىٰ حاقت بها أدت إلىٰ هذا الظلام تمامًا مثل الظلام الذىٰ أصاب عينه؛ ومن ثم فقد أصبح سجين نفسه، ومن ذلك قوله في قصيدة (مي): (من مجزوء الكامل)

فلوج كم من ظبية ... أنجبت يا عطر العبير

فيك التي أزت لبابي ... أز الزلازل للصخور(١)

كم من قتيل في هواها ... لكن قلبي كالأسير

يا ليتني ميت لعلىٰ ... أنجو من الحب العسير

ذل الهوىٰ العذري قلبي ... والذل نار في ضميري

يا مي جودي بالوصال ... أصبحت رسما في السرير(٢)

فالفلوجة بلدة العطاء والنماء لكن سرعان ما يذكر الواقع الأليم فيرمز بـ(مي) إلىٰ الأولاد غير البررة الذين تخلو عنها، بينما يوجد من أبنائها من يموت قتيلا في سبيلها، أما حينما يذكر أسماء أماكن أخرىٰ في الوطن العربىٰ خاصة التي عاشت مأساة احتلال غاشم، فنجده ينادىٰ بالعزة والكرامة، وذلك مثل قوله في قصيدة (نشيد القدس): (من الرمل)

باسم حيفا باسم يافا باسم شعبي ... باسم كل النائحات سألبي

صرخة القدس بروحي لا بدمعي ... أنا نار إنني من نور ربي

أنا إعصار وبركان ورعد ... ثورتي مجد ولألأء بدربي

ثورة العرب فناء للأعادي ... ثورة عصف وزلزال بحربي

ياليوث العرب جودوا بالدماء ... سوف أقضي في سبيل الحق نحبي

---

(١) وغير خاف ما في البيت من تنافر

(٢) الديوان: ١٤٨.

إن شـــعب العـــرب بـــرق في الســـماء اصـــــطفاه الله للـــــدنيا مربـــــي[١]

إننا نرىٰ الجميلي يربط بين ما يذكره من أسماء بلدان تقع تحت نير الاستعمار الغاشم كـ (حيفا – يافا- القدس) وألفاظ العزة والكرامة؛ وذلك للتنفيس عما بداخله من بركان ثائر، وضمير يقظ، فبدلا من أن يشحذ همة الآخرين ضد هؤلاء المستعمرين نجده يتحدث عما بداخله من ثورة مشتعلة وبركان ثائر لا يعلم مداه إلا الله، ومن ثم نجده كثيرا ما يكرر ضمير (الأنا)، في العديد من ألفاظ الأبيات السابقة كـ (بروحي- بدمعي- أنا –إنني- ربي- بدربي- بحربي- أقضي – نحبي)، كما نجده يكرر لفظ (باسم) وكأنه قائد ينادي علىٰ الشعوب وداعيا إلىٰ توحدها، وهذا إن دل فإنما يدل علىٰ ثبات الشاعر وصموده ضد الأعداء، كما أننا نلاحظ علىٰ الجميلي استخدام بعض الألفاظ غير العربية لكنه يحسن استخدامها ومن ذلك لفظة(الدولار)مثل قوله يعاتب أحد الأصدقاء في قصيدته (العتاب الصادق): (من الطويل)

إذا غيـــر الـــدولار خلـــق الصـــديق فســـافر عـــن الـــدنيا بـــأدنىٰ صـــديق

تغيـــر (قـــارونُ) [٢] فمـــا ضـــر غيـــره فـــلا تحســـبن النـــاس مثـــل الـــدقيق

مواعيـــد عرقـــوبٍ مواعـــد شـــيخنا فعـــش داخـــل الكنـــز بـــدون شـــهيق[٣]

تشـــيد في دنيـــاك أعلـــىٰ بنايـــة وأجســـادنا تبلـــىٰ بثـــوب عتيـــق

عجبـت علـىٰ الـدولار إذ صـار مالكـا وقـد كـان مملوكـا بغيـر بريـق[٤]

(١) الديوان: ١٤٦.

(٢) هكذا وردت لفظة (قارونُ) فىٰ الديوان ممنوعة من الصرف والصواب (قارونٌ) بالصرف حتىٰ لا ينكسر الوزن.

(٣) والشطر الثاني هكذا ورد مكسور الوزن.

(٤) الديوان: ١١٠.

وهكذا ينساب الجميلي في يسر وسهولة معاتبـًا أحد أصدقائه، وذلك بألفاظ سهلة جزلة، ومن ثم فقد جاء استعماله للفظ (الدولار) ملتئما في لحمة النص، فلن تشعر بقلق لفظي وأنت تقرأ الأبيات السابقة رغم أنها كلمة أجنبية، وما ذلك إلا لكونه نساج ماهر ينسج الألفاظ التي تحمل المعاني التي يريد توصيلها إلىٰ المتلقي دونما يجد فيها فجوات في عباراتها، فيضرب الأمثال ويصوغ الحكم، مستشهداً علىٰ أن الطغيان المادي قد يغير الإنسان، كما فعل بقارون الذىٰ بغىٰ علىٰ قومه بما آتاه الله من أموال عارية مستودعة، مذكراً بذلك صديقه وما يجب أن يكون عليه الإنسان من قناعة وأن المال يجب أن يكون في يد الإنسان لا في قلبه يملك عليه جوارحه إذ هو مملوك وليس مالكـًا، لأنه إن أصبح العكس وملك المال الإنسان فلا خير في صحبته.

وهكذا اختار الجميلي الألفاظ التي تعبر عن أحزانه وآلامه، وحبه ووئامه، مازجا بين الرقة والجزالة، موحية، حيث ناسب حالته النفسية، جامعا مع ذلك كله الموروث اللفظي الإسلامي والعربي، منوعا في ذلك بين الأساليب الخبرية والإنشائية.

المحور الثانى: التكرار ووظيفته الشعرية

لقد كثر استخدام الشعراء المتقدمين من الجاهليين والعصور التالية للتكرار، إلا أنه كثر في استعمال الشعراء المحدثين، بل لقد (جاءت علىٰ أبناء هذا القرن فترة من الزمن عدوا خلالها التكرار في بعض صوره لونًا من ألوان التجديد في الشعر) (١)، وقد وضح بعض النقاد والدارسين أهمية التكرار وأساليبه ودلالاته في العمل الشعرىٰ لما له علىٰ النفس من (إلحاح علىٰ جهة من العبارة يعنىٰ بها الشاعر أكثر من عناية بسواها، وهو بذلك ذو دلالة نفسية قيمة تفيد الناقد الأدبي الذىٰ يدرس النص ويحلل نفسية كاتبه إذ يضع في أيدينا مفتاح الفكرة المتسلطة علىٰ الشاعر)(٢).

ويعد التكرار من الظواهر الفنية الأسلوبية البارزة في شعر خالد رشيد الجميلي التي يجب التعريج عليها في شعره وبيان إبداعاته من خلالها، فلا ينظر إليه علىٰ أنه مجرد تكرار كلمة فحسب بل كان يستخدمه في توصيل فكرة ما كانت تلح عليه، هذا فضلا عن كونه يسهم في تطريب الآذان لما يحدثه من ترجيع موسيقىٰ تستريح له النفس ويثير الوجدان.

ومعظم التكرار الواقع في شعر الجميلي التكرار الاستهلالي وهو عبارة عن " تكرار كلمة واحدة أو عبارة في أول كل بيت من مجموعة أبيات متتالية، ووظيفة هذا التكرار التأكيد والتنبيه وإثارة التوقيع لدىٰ السامع للموقف الجديد، لمشاركة الشاعر إحساسه ونبضه الشعرىٰ "(٣)، ويتجلىٰ أهمية هذا التكرار الاستهلالي في أسمىٰ

---

(١) قضايا الشعر المعاصر – نازك الملائكة، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة: ٢٦٣.

(٢) الخصائص الأسلوبية في شعر بدوىٰ الجبل – عصام شريح، منشورات اتحاد الكتاب العربي، عام ٢٠٠٥م: ٩.

(٣) المصدر السابق: ١٠.

صوره في قصيدة (نبي الهدىٰ) من سيطرة عاطفة الحب الصادق علىٰ الشاعر للجناب النبوي الشريف يقول فيها موظفا للتكرار الاستهلالي بتقنية عالية: (من المتقارب)

نبـــي الهـــدىٰ أنـــت نـــور الأنـــام ... أغـــرٌ إمـــامٌ لكـــل إمـــام
نبـــي الهـــدىٰ أنـــت ومـــض النجـــوم ... وحـــد الحســـام ودنيـــا الســـلام
لأهـــديك روحـــي وشـــعري وســـفري ... وهـــذا لعمـــري لنـــزر الســـجام
لأنـــك قـــد انقـــذتنا مـــن فنـــاء ... لأنـــك قـــد أخرجتنـــا مـــن ظـــلام
لأنـــت مـــن العـــرب والعـــرب مـــنكم ... حللـــت كـــروح لشـــعب الكـــرام
هـــم العـــرب والله لـــولاك صـــاروا ... لكســـرىٰ وقيصـــر حتـــىٰ العظـــام
ســـطعت علـــىٰ النـــاس مـــن أجـــل عـــدل ... وكنـــت لكـــل ضـــعيف محـــامىٰ
وكنـــت لكـــل قـــوىٰ ســـراجًا ... بعـــدلك قـــرت عيـــون النيـــام
أحبـــك والله حـــبَّ يتـــيم ... كـــابن ســـبيل عضـــال الســـقام
أحبـــك والله حـــب أســـير ... كســـير جـــريح بـــأرض الحـــرام
لحبـــك في الله، والله نـــور ... وفي الصـــدر والله أزكـــىٰ وســـام
محمـــدُ حبـــك في القلـــب فـــرض ... مـــن الله ديـــن كفـــرض الصـــيام
محمـــدُ مـــالي ســـواك حبيـــب ... وإن كـــان حبـــك نـــار الغـــرام
محمـــدُ كالشـــمس إن أشـــرقت ... تـــوارت حيـــاء نجـــوم القـــوام[1]

إننا نجد الشاعر يستهل هذه القصيدة بنداء الجناب النبوي الشريف مخاطبًا ومناجيا إياه مكررا ذلك مرتين، ولا شك أن ذلك يبعث في النفس السكينة والطمأنينة فهو ﷺ النعمة المهداة، والسراج المنير، الذىٰ يستضاء به، والنبراس الذي يقتدي به، هدية السماء إلىٰ الأرض أرسله الله ليرفع به الظلم وينشر به العدل، ويعم به السلام

(١) الديوان: ١٠٦.

ربوع الأرض، ثم نجد الشاعر يكرر(لام) التوكيد في الأبيات الثلاثة التالية(لأهديك- لأنك- لأنت) مؤكداً علىٰ أن رسول الله ﷺ أساس الحياة فبدونه لا تصلح، وبهديه أخرج الله الناس من الظلمات إلىٰ النور، النبي العربي الهاشمي الذىٰ شرف به كل عربي، ونلحظ أن التكرار الاستهلالي قد أسهم في البناء الهندسي للقصيدة عن طريق التبرك والتشرف بخطاب حضرة النبيﷺلا سيما أنه حي فينا، فأضفىٰ الحياة عليها بمخاطبته، إذ الخطاب لا يصدر إلا لحىٰ، ثم نجده يكرر كلمة (الحب) مضافًا إليها كاف الخطاب، ولا شك أن ذلك يسهم في تقوية الشعور بحب الجناب النبوي الشريف قولا وعاطفة، ولا يخفىٰ أن توظيف هذا التكرار يعمل علىٰ تقوية النبرة الخطابية، كما تؤدىٰ الحركات الإيقاعية وتناغمها إلىٰ الوصول إلىٰ قلب المتلقي ومشاركته للشاعر في حرارة مشاعره وصدق وجدانه في حب النبيﷺ حبا صادقًا، والاحتياج إلىٰ هذا الحب والافتقار إليه في مواصلة الحياة، وذلك كحب اليتيم والأسير لمن يأخذ بأيديهما ويترفق بهما ويجبر بخاطرهما، وبخاصة أن حب الجناب النبوي في الله مجرداً من أىٰ مصلحة دنيوية وكسب مادي؛ لذا فإنه يسمو بصاحبه فيشفىٰ صدره ويروىٰ غليله وينير طريقه، ثم نراه يجأر بذكر اسم المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام (محمد) مكرراً إياه ثلاث مرات مستهلا بذلك الأبيات الثلاث التالية، وذلك لسيطرة شعور المحبة وأن ذلك ملك عليه جنانه فصار يردد متبركا ومتشرفا بذكر اسمه عليه الصلاة والسلام ، ومن ذلك قوله في إحدىٰ قصائد الشعر الصوفي: (من الطويل)

محمدُ فجر والنبيون قبله ... كواكب لا ليلا إذا الشمس تزلف

محمدُ محبوب الملايين والسما ... محمد لولاه الخلائق تحرف

محمدُ نور العين والقلب والحجا ... إلىٰ وجهه ترنو العيون وتلهف

محمـــــدُ متبـــــوع النبيـــــين كلهـــــم هـــو الخـــاتم الأوفىٰ بـــه قـــد تشـــرفوا(١)

ومن ذلك تكرار الاسم الأعظم (الله) مستهلا به للتوسل والتبرك وذلك في رثائه لصديقه عامر القرغولىٰ قائلا: (من البسيط)

الله الله ثـــــــــم الله عامرنـــــــــا ذكـــــراه خالـــــدة نـــــار علـــىٰ علـــــم

تـــــالله مـــــا ولـــــدت أم كعامرنـــــا المجـــــد يغمـــــره جـــــاد بكـــــل دم(٢)

وقد شاع هذا الأسلوب في شعره مستهلا ومتبركا ومتلذذا باسم (الله) مكررا له مرات ومرات، ومنه قوله في قصيدة (مدامة القلوب)؛ إذ يقول:(من البسيط)

االله خالقنـــــــــا الله مبـــــــــدعنا الـــروح صـــاغرة ترنـــو إلـــىٰ الفجـــر

ألســـت ربكـــم قلنـــا بلـــىٰ شـــرفا الله غايتـــا في (الســـتر) (٣) والجهـــر

الله الله ثـــــم الله يـــــا أملـــــىٰ االله في النهـــــي الله في الأمـــــر(٤)

وقد يستهل الجميلي أبياته بتكرار اسم محبوبته كما جاء في قصيدته الزينبية التىٰ يقول فيها: (من الطويل)

أيـــا زينـــبٌ إن الزمـــان كئيـــب ولا بســـمة حتـــىٰ يطـــل الحبيـــب

أيـــا زينـــبٌ بـــالله جـــودي بكلمـــة تعيـــد إلـــيّ النـــور أنـــت الطبيـــب

أيـــا زينـــبٌ أنـــت النســـيم بقلبنـــا ســـواك نســـاء الكـــون في العـــين ذيـــب

أيـــا زينـــبٌ أهـــواك مـــا دمـــت في الحيـــا فـــإن حفـــروا قبـــري فحـــي أجيـــب(٥)

---

(١) الديوان: ١٣٤.

(٢) الديوان: ١١٦.

(٣) هكذا وردت فىٰ الديوان والصواب (السر) حتىٰ يستقيم المعنىٰ.

(٤) الديوان: ١٧٣.

(٥) الديوان: ١٦٨.

وهكذا يحلو اسم (زينب) فيكرره الجميلي مناديا له ومستهلا به الأبيات السابقة إذ " لا يجب للشاعر أن يكرر اسما إلا علىٰ جهة التشويق والاستعذاب، إذا كان في تغزل أو نسيب"(١)، فكما قيل الصب تفضحه عيونه، فالتكرار هنا أفصح عن حالة الذات الشاعرة عند الجميلي وسيطرة حالة الحب علىٰ عاطفته، إذ الحياة كئيبة بدونها، ولا تعود البسمة إليه إلا بوصالها، بل هي بالنسبة له نور عينية الذىٰ افتقده، فهي البلسم الشافي والطبيب المداوي، ولهذا لا يبغىٰ عنها بديلا، فكل نساء العالمين سواها يقبحن في مخيلته، وقد يكون الشاعر قد استخدم من (زينب) رمزاً لوطنه فكل المعاني السابقة قد يقصد بها الوطن معربا عن حبه الشديد عن ذلك الوطن بأنه دائما في خدمته ورهن إشارته حيا وميتا، وهنا نستطيع أن نقول بأن تكرار كلمة (زينب) قد لعبت دوراً كبيراً زاد من درامية وشاعرية الجميلي وفنيته، وأعطىٰ للصورة بعداً آخر حيث بين أن المرأة هي الحياة فهي نصف المجتمع، ولولاها ما كان البنون والبنات والقادة والوطنيون الذين يحمون الوطن ويدافعون عنه بأنفسهم وأموالهم.

وقد تكون الكلمة المكررة التي يستهل بها الجميلي أبياته فعلاً كما جاء في قصيدته (العاطفية) التي يقول فيها: (من الكامل)

أبكي علىٰ الأيام من شرر الدجىٰ ... أبكي شبابا في الحمىٰ سباح
أبكي علىٰ الأنوار إذ فارقتها ... دنياي وحش كاسر سفاح
أبكي الطفولة والشباب بسجنه ... الليل غول ابنه الإصباح
ليلي بلا قمر وصبحي غائم ... أشكو الدجىٰ فإذا الضياء جراح(٢)

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه – لابن رشيق القيرواني- ت/ محمد محي الدين عبد الحميد- دار الجبل- ط الخامسة عام ١٩٨١م: ٢/ ٧٤.

(٢) الديوان: ١٧٥.

ونلحظ أنه قد كرر الفعل المضارع (أبكي) خمس مرات، وفىٰ ذلك دلالة علىٰ التجدد والاستمرار، فشاعرنا دائم البكاء والشكوىٰ علىٰ ما أصابه في طفولته من ذهاب نظره وما أدخله في ليل سرمدي ظل يلازمه طيلة حياته، فيبكىٰ علىٰ الأيام والليالي الضائعة، ويبكىٰ شبابه الذىٰ لم يستمتع به، إنه أراد أن يشارك المتلقي هذه العاطفة الحزينة فكان تكراره للفعل (أبكي) ما يدل علىٰ ذلك.

وفي قصيدته (نشيد الحق) يبرز هذا النوع من التكرار الاستهلالي في صورة تكرار للشرط وجوابه وكأنه يندب حالة العرب، وما وصلوا إليه من هون وضعف بعد السمو والرفعة قائلا: (من الكامل)

لو أن زهر العرب عاد لعطره ... لما بدا زهر يشم ويذكر

لو أن نجم العرب عاد لنوره ... لما سما نجم مشع مسهر

لو أن شعب العرب عاد لدينه ... لما جثا في كوننا مستعمر(١)

ومن أنواع التكرار التي زين بها الجميلي إبداعاته الشعرية التكرار الهندسي، وهو أن يكرر الشاعر كلمة تحمل عنوان القصيدة، وتشكل حركة دائرية، لها في سياقها الممتد تميز وتفرد، وهو من شأنه يؤدىٰ إلىٰ تكثيف الدلالة، وتشكيل حركة تتابعية، تعنىٰ بنية النص الشعري علىٰ الصعيدين الدلالي واللفظي معًا(٢)، ومن ذلك ما جاء في قصيدته (هاجر إلىٰ البيداء): (من الكامل)

هاجر إلىٰ البيداء نسلك أكثر

هاجر إلىٰ البيداء بيتك أيسر

هاجر إلىٰ البيداء بيتك يعمر

---

(١) الديوان: ١٧٥.

(٢) الخصائص الأسلوبية فىٰ شعر بدوىٰ الجبل – عصام شرتح: ٢٩.

هاجر إلىٰ البيداء زوجك أيسر

هاجر إلىٰ البيداء وجهك أنضر

هاجر إلىٰ البيداء عينك أنظر

هاجر إلىٰ البيداء جسمك أعمر

هاجر إلىٰ البيداء أكلك أطهر

هاجر إلىٰ البيداء دينك مزهر

هاجر إلىٰ البيداء عقلك أنور(١)

إننا نرىٰ إلحاح الشاعر بالهجرة إلىٰ البيداء، مبينـًا ما في ذلك من فوائد جمة، حيث إن في الهجرة هداية للطريق، وتيسير للسبيل، وتوسعة في الرزق، وبركة في العمر، وكمال في الدين، إلخ ما أرشد إليه الجميلي من تلك الفوائد، مؤكداً بقوله: (هاجر إلىٰ البيداء) وما يوحىٰ من حركة تجرىٰ في مسارها الدائري تعمل علىٰ إيصال الشاعر إلىٰ الذروة، حتىٰ يصل إلىٰ عقل المتلقىٰ قبل وجدانه، ويصل به إلىٰ متعة الخروج إلىٰ الفضاء الواسع بعيداً عن معترك الحياة وزحمة المدينة، وما تكتظ به من مشاكل شتىٰ من خلال تكرار (هاجر إلىٰ البيداء) حتىٰ يمكن للذات أن تحلق في آفاق هذا الفضاء الفسيح بعيداً عن المعاناة الحياتية.

وقد استخدم الجميلي ما يسمىٰ بالتكرار البياني وهو الذي (يأتي به الشاعر لرسم صورة أو لتأكيد كلمة أو عبارة تتكرر دائمـًا في القصيدة، وقد يمتد هذا التكرار ليشمل بيتين متتاليين، والغرض العام منه هو إثارة المتلقي وتوجيه ذهنه نحو الصورة المستحضرة، لخلق ما يسمىٰ لحظة الشعور أو لحظة التوافق الشعوري بين المبدع

(١) الديوان: ١٧٠.

والمتلقي سواء أكان هذا التكرار في بداية القصيدة أم في وسطها أم في آخرها) [١]، ومن ذلك ما جاء في قصيدته التي يتحدث فيها عن الوحدة التي حدثت بين دمشق وبغداد، فيقول: (من البسيط)

بغداد أم بنوها العرب كلهم ... خليج يعرب من تطوان قد ورد
بغداد ضمي بنيك الدهر صارعهم ... ما بال أمتنا قد أصبحت عددا
إني رأيت ذئاب الغرب كلهم ... يبغون أمتنا لا عاش من شهدا
الموت طاب لنا هانت نوازعه ... بغداد كوني شهابا للعدا رصدا
بغداد إن خطوب العرب قد عظمت ... مسرىٰ النبي بكىٰ لا عاش من وردا
بغداد دمع الأسىٰ أودىٰ بمقلتنا ... بانت فلسطين ظلما فالسلام سدىٰ
لا سِلم لا سلم حتىٰ تنهلن ثرىٰ ... حيفا ويافا دماءً تطفئ الكمدا
لا سِلم في شرعة الإسلام إن سلب ... أعداءُ أرضًا، ولكن الجميع فدا[٢]

وهذا يؤكد مدىٰ حبه لوطنه، وإيمانه الشديد بنصرته، فبغداد هي قطعة من العرب، كما كانت في سابق العهد مركزاً للخلافة العباسية، ومن ثم فقد وظف الجميلي تكرار كلمة (بغداد)، والذىٰ شكل هندسة إيقاعية بنائية؛ فكرره في بيتين متتاليين مرتين، ليؤكد مسئولية بلاده وبني وطنه ووقوفهم صفًا واحداً أمام أذناب الغرب الذين يريدون أن ينهشوا الإسلام في صورة بغداد، فأي اعتداء علىٰ مقدسات المسلمين يعد اعتداء علىٰ كل العرب بما فيهم بغداد؛ لذا نجده يكرر قوله (لا سلم) ثلاث مرات في بيتين متتاليين، مؤكدا علىٰ أنه لا سلام مادام هناك جزء من أجزاء البلاد

(١) الخصائص الأسلوبية فىٰ شعر بدوىٰ الجبل – عصام شرتح: ١٦.
(٢) الديوان: ١٦٢.

العربية والإسلامية وخاصة القدس مسرىٰ الرسول ﷺ يقع تحت نيران الاعتداء الغربي، فالكل فداء لتلك المقدسات الطاهرة، فتلك هىٰ حقيقة الإسلام وشريعته التىٰ ينادىٰ بها.

وهكذا يتجلىٰ لنا إبداع الجميلي في استعماله لأسلوب التكرار بكل أنواعه وأشكاله، مفصحا عما بداخله من إلحاح علىٰ إبراز تلك المعانىٰ والتأكيد عليها، حتىٰ يصل إلىٰ المتلقي ما يكتنفه من صراعات نفسية داخلية، هذا إلىٰ جانب إسهامه في ترجيع وترديد ما من شأنه إحداث موسيقىٰ داخل الأبيات تستريح لها النفس وتطرب لها الآذان.

المحور الثالث: الثنائيات المتضادة (المفارقة)

إن من أهم عناصر الإبداع في الشعر قديما وحديثًا ما يسمىٰ بالثنائيات الضدية، حيث يأتي الشاعر بالمعنىٰ ثم ينثني بضده من قبيل أن الحسن يبرز حسنه الضد، ومن محاسنه أنه (يعمل علىٰ متابعة النص وما يتشكل عنه من علاقات تتحرك في تواتر متجاذب، وكأنه شبكة تتابع خيوطها، وتتبادل مواقعها وتتشابك تطريزاتها علىٰ جسد النص كما تقوم الأضواء بدور مهم فعال في تأسيس الوجه الأهم في البنية الحركية في النص)[١].

ولقد تنوعت هذه الثنائيات في شعر الجميلي فجاءت بين الاسم والاسم، والفعل والفعل، والاسم والفعل، والشواهد علىٰ ذلك كثيرة جداً منها ما جاء في قصة شعرية يحكىٰ فيها عن حال الظالم والمظلوم فيقول: (من الرمل)

أيها الظالم إن طال الدهر ... أنت مغلوب بعهد المقتدر

أيها المظلوم أوقد دمعة ... ثم ادع الله همسًا في السحر

فسرىٰ الظالم في جوف الثرىٰ ... قد رأيناهم جميعًا كالبقر[٢]

فمهما طال العمر فلا بد لليل أن ينجلي وللقيد أن ينكسر وللمظلوم أن ينتصر، وللظالم أن تنال منه يد العدالة، فلا شئ علىٰ المظلوم سوىٰ أن يدعو المقتدر الذي من شأنه أن يستقبل الدعاء بعزته وجلاله، ثم ينتصر له ولو بعد حين، حتما فمآل الظالم إلىٰ زوال وكان عاقبة أمره خسرا، ولا يخفىٰ أن التضاد بين الظالم والمظلوم قد أضفىٰ علىٰ الصورة شيئًا من جمال العدل الإلهي النافذ يقينًا في عباده.

---

(١) الخصائص الأسلوبية فىٰ شعر بدوىٰ الجبل – عصام شرتح: ٤٦.

(٢) الديوان: ١٠٩.

وخير شاهد علىٰ هذه الثنائيات المتضادة في شعر (الجميلىٰ) ما نجده في قصيدة (مناجاة النوم)، التىٰ يقول فيها: (من المتقارب)

فؤادي تلظىٰ بهجر الوسن ... ولو يشترىٰ النوم روحي الثمن
يعس الليل ركوم الدجىٰ ... ويبلج صبحي ركوم الشجن
صباح مساء حريق الحشا ... إلىٰ أن أزف بلبس الكفن
أيبقىٰ فؤادي أسير الدجىٰ ... متىٰ ينتهىٰ العمر طر يا زمن
وينعم قرد بحسن الظبا ... دمائي سجت من شواظ المحن
تطاول ليلىٰ ولا ظبىٰ لي ... لتطفأ ناري وتضوي السكن
ولم أبغ غير التىٰ خلتها ... تنير الفؤاد بصوت حسن
أحبك يا نوم من أجلها ... بطيف الحبيبة أزجىٰ الحزن
ألا أيها النوم أنىٰ فتىٰ ... برئ وديع كطير الفنن
يؤرقني الدهر منذ الصبا ... أسرت بمهد كزهر الغصن
يقبلني الكل عطفا علىٰ ... حياة الظلام وتحرق دمعةً
من الأم والأخت يا للجوىٰ ... أموت مراراً وأحيا أسىً
شبابي تلظىٰ بنار الصبا ... ويا ليت ذكراه لم تختزن
يهيج بقلب اللظىٰ مثلما ... يهيج الوقود جمار الغضىً
إذا شئت لِعبًا مع التُربِ لم ... أُصب غير صدم بدون هدىً
ويضحك طفل وتبكي الضبا ... وأرتد طوعا ولم أنهلن[1]

(١) الديوان: ١٤٤.

إننا نرىٰ حشداً من هذه الثنائيات المتضادة بين الاسم والاسم، والفعل والفعل، وذلك مثل: (يعسعس، ويبلج)، و(ليلىٰ، وصبحي)، و(يبقىٰ، وينتهي)، و(أموت، وأحيا)، و(وتضحك، وتبكىٰ)، وقد أسهمت هذه الثنائيات في رسم صورة وحالة هذا الشاعر وما كان عليه من أرق وقلق، وكأننا ننظر إليه وهو يتقلب من حال لحال يمنة ويسرة، يستدعىٰ النوم، لكن النوم منه يهرب وسط هذا الركام المتكاثر من الأرق، إنه ركام كثيف من الحزن نراه في المقابلة التىٰ ذكرها في قصيدته التىٰ رثا فيها صديقه (طه جابر العلوانىٰ) حيث يقول في حقه وما ينتظره من نعيم مقيم في جنة الخلد حيث حور العين فلا عزاء ولا سلوان إلا من خلال هذا النعيم الذىٰ ينتظره في الآخرة: (من الوافر)

فطوبىٰ ثم طوبىٰ يا فقيها ... هي الفردوس مأواك المقيم

وعيناي إذا ابتسمت ضياء ... تسامره لنعماء النعيم

لها وجه كفجر في بياض ... وشعر أسود ليل صريم[1]

فقد شبه الحور العين التي تنتظر صاحبه الشهيد بأن وجهها فاق الجمال حسنا وبهاء، والذي أبرز ذلك هو اجتماع الثنائيات الضدية في ذاك الوجه الذي يتخيله (الجميلي) وهو من ذوي البصائر، فهذا الوجه أبيض شديد البياض يشع نوراً كنور الفجر، والذي أظهر هذا البياض ذاك الشعر الأسود الشديد السواد كسواد الليل الحالك الذي يتدلىٰ علىٰ وجنتي هذا الوجه، ومن الثنائيات المتضادة التي أبدع في نسجها (الجميلي) أيضا قوله في رثاء (عبد الكريم الزيدان): (من الكامل)

بغداد جودي بالدموع علىٰ السنا ... قد غار دجلة فاندبي دنيا الإبىٰ

بغداد أضحىٰ القلب في لهب الجوىٰ ... في الفجر أبكي ثم أبكي مغربا

---

(١) الديوان: ١٦٤.

حتـــىٰ إذا جـــن الظـــلام حســـبته كالشمس يأفل ثم يبزغ مرحبا(١)

فمن خلال الإبداع بالتضاد يوضح الجميلي لنا مدىٰ حزنه الشديد علىٰ أستاذه الذىٰ أفضىٰ إلىٰ ربه تاركًا هذا الألم الذىٰ اعتصر فؤاده، مما جعله ينادىٰ علىٰ أهل بغداد جميعهم أن يجودوا بالدموع الغزار علىٰ أستاذه الراحل، إذ هو الباكي عليه حتىٰ تقطع لذلك نياط قلبه، فصار الدمع مدراراً، لا ينقطع صباحًا ومساءً، أبرز ذلك التضاد بين (الفجر، والمغرب)، ثم نجده يأتي بعد ذلك بثنائية متضادة أخرىٰ تحمل كثيراً من الطاقات الإبداعية بين الفعلين (يأفل، ويبزغ)، ما يدل علىٰ عظيم حزن الشاعر علىٰ هذا الفقيد الذىٰ هو بمثابة الشمس التىٰ لا غنىٰ عنها في حياتنا اليومية، فنبوغه كعالم أشرق علىٰ بغداد فأنار لهم الدروب، وموته يعد أفولا لنجم تهاوىٰ من أفلاكه: (من الوافر)

رأينـــا الفجـــر أن بـــزغ الأغـــر وإن أفـل الأشـم نـرىٰ الأصـيلا(٢)

فإبداع التضاد هنا أبرز قيمة المرثي في صورة رائعة إذ (الجميلي) يرىٰ شيخه الراحل فجراً قد أشرق بالنور علىٰ الأمة بعلمه، وحينما ذهب إلىٰ ربه غاب هذا النور وحل الظلام، فموت العلماء مصيبة للأمة بأثرها، وكسر لا يجبره إلا نبوغ عالم آخر يشرق عليها بعده.

(١) الديوان: ٩٩.

(٢) الديوان: ١١٠.

وفي إطار حب النبي ﷺ الشديد نجد (الجميلي) يشيد بعدله وفضله علىٰ البشرية جمعاء فيقول: (من المتقارب)

سطعت علىٰ الناس من أجل عدل وكنت لكل ضعيف محام

وكنت لكل قوي سراجًا بعدلك قرت عيون النيام (١)

لقد كان وجود النبي ﷺ يضمن الوسطية والعدل لكل الناس فوجوده عليه السلام يحفظ التوازن بين الأنام أظهر ذلك التضاد بين (الضعيف – والقوىٰ) فهو عليه الصلاة والسلام ركن قوىٰ لكل ضعيف، ونبراسًا لكل قوىٰ يهتدي بهدية، ومن ثم فلا يطغىٰ بقوته مادام يتخذ النبي ﷺ قدوة.

وفي ضوء تحسين الصورة وإضفاء شيء عليها من الجمال، ما جاء في قصيدة (الشوق الصادق) نحو قوله: (من الطويل)

كأن محياها آيات شموسنا وفىٰ الليلة الظلماء بدر تنيرُ

وللزهر شهد ثم صهباء كرمة يعود صغيراً إن أتاها الكبير

عُجابًا علىٰ مَنْ لم يُفجّره حسنها إذا أشرقت ليلاً تغيب البدور(٢)

فهذه الثنائيات المتضادة بين (الظلام، والنور)، و(الصغير، والكبير)، والفعلين (أشرقت، وتغيب) توضح المعنىٰ وتعمل علىٰ تأكيده وإبراز جمال تلك المحبوبة.

ومن صور الإبداع بالتضاد التىٰ أتىٰ بها (الجميلىٰ) في ديوانه حوار مع الدنيا الجمع بين اسم الفاعل والمفعول علىٰ حد قوله: (من الطويل)

عجبت علىٰ الدولار إذ صار مالكًا وقد كان مملوكًا بغير بريق

وما السر في هذا سوىٰ كثرة الغنىٰ لعمري رغيف الخبز حسب الخلوق

---

(١) الديوان: ١٠٦.

(٢) الديوان: ١٠٧.

أيـا شـيخنا كـل الزمـان دوائـر صـعوداً ونـزولاً في ظـلام عميـق(١)

فالتضـاد هنـا بـين اسـم الفاعـل (مالكـًا)، وبـين اسـم المفعـول (مملوكـًا)، وبين(صعوداً)، و (نزولاً)، أفاد بعدم استقرار الأمور ودوام الأحوال، فدوام الحال من المحال، وأخذ العبرة من الزمان وغدراته، لكن يبقىٰ الأصيل معدنه ثابتـًا لا يتغير، لكن الحالة الوحيدة التىٰ يستوي الجميع فيها هىٰ الموت تلك الحقيقة التىٰ لا جدال فيهـا ومـراء، يوضـح ذلـك (الجميلـي) في قصـيدته (البـدر الآفـل)، إذ يقـول: (مـن الكامل)

لا يسـتوي الإنسـان إلا في البلـىٰ المـوت منتظـر فمـن ذا يهـرب

لـو دامـت الـدنيا لـدام محمـد صـلوا عليـه وسـلموا وترقبـوا

ملـك القضـاء -بـلا سـلام- عـاجلاً أو آجـلاً يـأتيكم هيـا اركبـوا

ريـب المنـون بـلا رجـوع في الـورىٰ إمـا نعـيم أو جحـيم يلهـب(٢)

فالنـاس متفـاوتون حـال الحيـاة في الآجـال والأرزاق، لكـنهم يتسـاوون عنـدما يجرعهم كأس الموت الذي ليس منه مهربـًا، سواء أكان ذلك عاجلاً أم آجلاً، ثم تـأتىٰ الحياة التىٰ لـيس منهـا رجـوع، فهي إمـا نعـيم مقـيم، أو عـذاب أليـم، أكـد علىٰ ذلـك الشـاعر بالتضـاد بـين (عـاجلاً، وآجـلاً)، وبـين (الرجـوع، والإتيـان)، وبـين (النعـيم، والجحـيم)، وهكـذا وردت العشـرات مـن الثنائيـات المتضـادة التـي أبـدع الجميلـي توظيفها في خدمة إبرازا المعنىٰ وتجليته لقرائه ومريده.

(١) الديوان: ١١٠.

(٢) الديوان: ١١٥.

المحور الرابع: التناص ودلالاته

والتناص الشعري في أبسط صوره هو أن يستدعي الشاعر نصًا قيل في سياق ما ثم يوظفه في سياق آخر مشابه بغرض أن يبرز بعداً ثالثًا يريد إيصاله إلىٰ المتلقي، وهي قضية مثارة في الدرس الأدبي منذ زمن بعيد، (وقد أخذت مسميات متعددة، كالسرقات والاقتباس والاستشهاد، والتضمين وربما التقليد وكذلك المعارضة) (١).

و(الجميلي)- بحكم عمله كأستاذ جامعي متخصص في العلوم الشرعية كثير التعامل بها في حياته اليومية درسا وتأليفًا- جعل هذه الظاهرة قد شاعت في شعره وانتشرت، مما جعلها ظاهرة تستحق الدراسة في شعره، وكان القرآن الكريم مصدرا ثر استقىٰ منه نصوصه، وظهر ذلك جليًا في استدعاء بعض آياته الكريمة في إبداعاته الشعرية، حيث اتكأ علىٰ بعض الدلالات والإيحاءات، وذلك من خلال التلميح بجزء من أجزاء الآية، وليست آية كاملة، إذ لم يرد في شعره أنه اقتبس أية كاملة، وإنما ورد ذلك عنده فىٰ بعض آية، ومن ذلك قوله داعيا إلىٰ توحيد الصف ورأب الصدع ولم الشمل: (من الطويل)

وأي خلاف بين دين محمد هلموا إلىٰ الإسلام للنجم نرسمم

أبونا لإبراهيم قد قال ربنا وأمتنا واحدة في الكتاب ألا أعلم (٢))

فالمسلمون ربهم واحد وقبلتهم واحدة، ولهذا كان لازما عليهم أن يتوحدوا تحت راية واحدة، وقد سماهم سيدنا إبراهيم عليه السلام جميعا بالمسلمين رغم اختلاف

---

(١) لسانيات الاختلاف- محمد فكري الجزار – الهيئة العامة لقصور الثقافة – سلسلة كتابات نقدية عام ١٩٥٠م: صـ ٤٥٩.

(٢) الديوان: ١٨٥.

مذاهبهم، وقد استلهم (الجميلي) هذه المعاني من قوله تعالىٰ: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ (١)، وقوله تعالىٰ:﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ (٢)، مما يوحىٰ بأن الهدف واحد والوجهة واحدة، ومن التلميحات والإشارات القرآنية التىٰ استخدمها (الجميلي) ما جاء في قوله: (من الطويل)

فلسطين وعد الله جيشك قادم ... لمسراه من بغداد والناس نوم

وفىٰ سورة الإسراء وعد منزه ... إذا وعد الجبار وعده ملزم(٣)

وفي ذلك إشارة إلىٰ الوعد الوارد في سورة الإسراء، وهو ما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾﴾ (٤)، والله سبحانه لا يخلف الميعاد، ومن استعمال اللفظة القرآنية ما جاء في قوله: (من الكامل)

حتىٰ إذا جن الظلام حسبته ... كالشمس يأفل ثم يبزغ مرحبا(٥)

حيث قد ربط الشاعر بين نبوغ الشيخ وبين وفاته بأنه ككوكب منير يضئ للناس وقت الظلام حينما يبزغ له، أما حينما يأفل يحل عليهم الظلام، الأمر الذي يشبه حال

---

(١) سورة الحج من الآية (٧٨) .

(٢) سورةالمؤمنون من الآية (٥٢) .

(٣) الديوان: ١٨٣ .

(٤) سورة الإسراء (٥-٦) .

(٥) الديوان: ٩٩.

الشيخ فيعيش الناس في هدىٰ ونور ما ينشره من علم وهدىٰ، ولا يخفىٰ ما في ذلك من إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾ (١)، ومنه قوله: (من الوافر)

رأينـــا الفجـــر أن بـــزغ الأغـــر وإن أفـل الأشـم نـرىٰ الأصـيلا(٢)

وتعد القصيدة التي رثىٰ بها صديقه (سعيد الحلبي)، من القصائد التىٰ تشابهت قوافيها مع خواتيم الآيات الكريمة في سورة المزمل التىٰ يقول في مطلعها: (من الوافر)

رواسي الشهب قد أضحىٰ مهيلا بفقد سعيدها الشهم الفضيلا

أيا بدر الجميلة قف قليلا لعل الله يجعلني بديلا

رأيتك روضة آوت جياعًا يتامىٰ الحي والشيخ الجليلا

أبا قيس فلسطين الجريح تنادىٰ سيفك الأعلىٰ صليلا

سماء العرب في ليل بهيم وشعب العرب قد أضحىٰ عليلا

أبا قيس جيوش العرب ظمأىٰ تريد القائد الفذ النبيلا

أتاني الفجر عن دنيا العراق وأمطرت السماء أسىٰ وبيلا(٣)

وواضح جدا موافقة القوافىٰ السابقة لفواصل الآيات في سورة المزمل في الوزن، وفىٰ القصيدة ذاتها نجده قد استدعىٰ أية من سورة الإنسان، حيث يقول: (من الوافر)

---

(١) سورة الأنعام من الآية(٧٦) .

(٢) الديوان: ١٠١.

(٣) الديوان: ١٠١.

أخـــــلاي اقبـــــروني في ثـــــراه لأرتشـــفن عينـــــاً سلســـــبيلاً[١]

لقد طاب البكاء علىٰ شيخه بحر العلم والشريعة الذي طال ما كثيرا ما نهل من معين علمه الغزير، حيث قد اقتبس هذا المعنىٰ من قوله تعالىٰ: (عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً) [٢]، ولقد أحسن توظيف المعنىٰ القرآني في رثائه للبطل (الرائد الجنابي)، فيقول في حقه: (من الطويل)

أيـــا رائـــداً كـــل الزمـــان مصـــيره إلـىٰ المـوت لكـن الشـهادة أعظـم

مخلـــد عنـــد الله حقـــاً شـــهيدنا هو الحي مرزوق فلا ميت يطعـم[٣]

وواضح أنه قد استلهم هذا المعنىٰ من قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[٤]، بل أراد من خلال هذا التوظيف البديع للآية الكريمة أن يثبت أن الشهيد حي حياة حقيقية مؤكداً علىٰ ذلك بأن الرزق من خصائص الحي لا الميت.

ومن المعاني القرآنية التي ضمنها شعره ما جاء في قصيدة (سلافة الأرواح) التي يقول فيها: (من البسيط)

الله خالقنـــــــا الله مبـــــــدعنا الـروح صـاغرة ترنـو إلـىٰ الفجـر

مدامـة الـروح مـالي غيـركِ سـنن الـروح في سـكر مـذ كنـت في الـذر

---

(١) الديوان: ١٠١.

(٢) سورة الإنسان من الآية(١٨) .

(٣) الديوان: ١٧١.

(٤) سورة آل عمران من الآية(١٦٩) .

ألســت ربكــم قلنــا بلــىٰ شــرفنا الله غايتنــا في الســتر والجهــر(١)

لقد وظف (الجميلي) في الأبيات السابقة معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾(٢)، وهي شهادة الخلق علىٰ وحدانية الله، وهم في عالم الذر حينما مسح الله علىٰ ظهر أبينا آدم عليه السلام واستخرج منه ذريته في بداية الخليقة.

وقد اقتبس أيضا من الحديث لما فيه من أنوار الوحي الإلهي، مما يساعد بدوره علىٰ إثراء اللغة واتساع أفق دلالتها، مما يجعل الشاعر قادرا علىٰ امتلك ناصية القول وفرصة كبيرة لإقناع المتلقىٰ والسيطرة علىٰ وجدانه ومشاعره، ومن ذلك قول (الجميلي) متحدثا عن بناء الشريعة الإسلامية، والفكر السياسي الإسلامي: (من الطويل)

وأركــان إســلامي صــلاة شــهادة وصــوم زكــاة ثــم حــج متــيم(٣)

حيث جاء البيت مشتملا علىٰ أركان الإسلام التي استلهمها الجميلي من حديث الرسول ﷺ الذي يقول فيه: (بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ) (٤)، والأمر الذىٰ أرد أن يلفت الجميلي إليه من خلال هذا التوظيف للحديث الشريف هو أن الإسلام في جوهره

(١) الديوان: ١٧٣ .

(٢) سورة الأعراف من الآية(١٧٢) .

(٣) الديوان: ١٨٥ .

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تأليف أبو عبد اللهالشيباني، ت- شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرو - مؤسسة الرسالة ط١: ٢٠٠١ م: ٣١/ ٥٥٥.

يدعوا إلىٰ التماسك والوحدة، فهذه الأركان في مجملها تراعي المجتمع والتكافل والتماسك فيما بينهم حيث تؤدىٰ كلها في جماعة، فقوة المسلمين في اتحادهم واعتصامهم بحبل الله جميعًا، وطاعتهم لربهم ولو كانوا قلة، أما حينما حادوا عن الطريق وتفرقوا فقد ضعفوا ووهنوا مهما كانت كثرتهم، يؤكد (الجميلي) علىٰ هذا المعنىٰ بقوله: (من البسيط)

سبع وخمسون شعبًا مسلمًا دولاً لكنهم زبدٌ في البحر أوهام (١)

حيث وظف حديث النبيﷺالقائل فيه: (يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَىٰ عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَىٰ الْأَكَلَةُ إِلَىٰ قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ) (٢).

ومن تناصه من الحديث النبوي الشريف عندما يتحدث عن طيف محبوبته في قصيدته (الشوق الصادق) إلىٰ أن يصل إلىٰ الحديث عن عذوبة صوتها فيقول: (من الطويل)

وإنْ حَدَّثَتْ مزمارُ داود صوتُها وإن أقبلت روضًا تغار الزهور(٣)

فدائما صوت المحبوب يثير الشجن لدىٰ محبوبه وخاصة إذا كان صوته عذبًا رقيقًا، إذ نجد (الجميلي) في البيت السابق يبدع في وصف صوت محبوبته في عذوبة

(١)) الديوان: ٧٩.

(٢)) سنن أبي داود، تأليف: أبو داود الأزدي، ت- محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت: ٤/ ١١١.

(٣)) الديوان: ١٠٧.

صوتها بأنه من أجمل الأصوات، مشبهًا ذلك بمزامير داود، وقد استلهم ذلك المعنىٰ من حديث أبىٰ هريرة -رضي الله عنه- الذي رواه عن رسول الله - صلىٰ الله عليه - الذىٰ يذكر فيه حلاوة صوت أبو موسىٰ الأشعري، مع فارق التشبيه- فيقول:(لقد أعطىٰ أبو موسىٰ مزامير داود) (١)، ولقد كرر (الجميلي) هذا المعنىٰ في العديد من القصائد، فمثلا يقول في قصيدته (طلل في الكرخ): (من المتقارب)

لقد كانت مزمار داود يا ... ثريا العرائس ذات الوجل (٢)

كما نجده يذكر المعنىٰ ذاته في قصيدته (إغاظة القمر) فيقول: (من المتقارب)

سموت جبالاً ووهاداً ثرىً ... وبدر البسيطة وجه نضر

وصوت مزامير داود قد ... تجلت به كي تهز الصخر (٣)

أما التناص باستدعائه الشخصية فقد أبدع في توظيف الشخصية التاريخية في شعره حتىٰ يبرز بعداً تاريخيًا وإن لم يتناسب مع هذا الموقف الذىٰ استدعاه من أجله، ومن ذلك قوله في رثاء أستاذه إبراهيم المدرس: (من الطويل)

أبا مرشد حقا يطيب الرحيل ... لأنت ولىٌّ مستقيم فضيلُ

عرفتك أستاذاً فقيهاً مربيًا ... عطاءك شمسيٌ نزيهُ جزيلُ

نشأت أبا ذرٍ تقيًا علىٰ الهدىٰ ... شبابًا وشيخًا قد حَباهُ الجليلُ (٤)

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تأليف- أبو عبد الله الشيباني، ت - أحمد محمد شاكر الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥ م: ٨/ ٣٧٦.

(٢) الديوان: ١٢٩.

(٣) الديوان: ١٥٠.

(٤) الديوان: ١٢٢.

و(الجميلي) هنا وهو يتحدث عن أستاذه تجده يستدعىٰ شخصية الصحابي الجليل أبي ذر الغفار، راوي الحديث عن صاحب المقام المحمود - عليه الصلاة والسلام - حيث قد أسقط شخصية وملامح هذا الصحابي علىٰ أستاذه الراحل، فقد ضرب بهذا الصحابي المثل في الاستقامة، وشهد له الرسول ﷺ بأنه يعيش وحده ويموت وحده ويبعث يوم القيامة وحده، والجامع بينهما حب العلم والمجاهدة في تحصيله ونشره، والبعد عن زخارف الدنيا وزينتها.

كما نجده يستدعىٰ شخصية الصحابي الجليل سيدنا عبد الله بن أم مكتوم ليسقطها علىٰ نفسه فيقول: (من الكامل)

صارعت كابوس الدجىٰ منذ الصبا ... لكن صوتيَ قادمٌ مستنصرُ

ابنُ امُّ مكتومِ البصيرُ هوىٰ الوغىٰ ... يبغىٰ الشهادةَ عاجلاً لا يبصرُ(١)

فبينهما وجه شبه كبير فابن أم مكتوم رغم فقده لبصره لم يقف عاجزاً وقت الجهاد، وقد استخلفه النبيﷺ علىٰ المدينة وقت خروجهم لحرب الأعداء، وهكذا (الجميلي) يقهر الظلام ويتمنىٰ الشهادة في سبيل الله، نصرة لدين الله وتحريرا لبلاده وتأيدا لها.

ومن استدعائه للشخصيات ذات الثقل التاريخي والبطولية (أبو جعفر المنصور) في قصيدته (بغداد ملحمة الجهاد)، وفيها يقول: (من الطويل)

أبا جعفر المنصور سفرك خالد ... قرأنا به المجد التليد المحببا

قرأنا به بغداد للكل مورد ... من الصين حتىٰ الألب بغداد مطلبا

من الصين حتىٰ الألب ترنوا عيونُهم ... إلىٰ دولة الإسلام يبغون مَرْكبا(٢)

---

(١) الديوان: ١٣٣.

(٢) الديوان: ١٢٤.

فينادي (الجميلي) علىٰ (أبي جعفر المنصور) أحد الخلفاء العباسيين، مستحضراً بطولاته وصولاته وجولاته داخل العالم الإسلامي وخارجه، وما حققه من أمجاد وبطولات وصلت إلىٰ الصين، وأخضع كل هذه البلاد بالعدل وتقوىٰ الله ﷻ، ونلحظ أن استدعاءه لهذا البطل؛ إنما ليلقىٰ الضوء علىٰ تلك الأمجاد التي كانت في الماضي، وتعرية الواقع المأسوي، وما حدث من مفارقات عجيبة بين الماضي المشرق، والحاضر المنهزم المكسور، وما ذلك إلا ليلهب وجدان المتلقي ويشعل حماسته نحو تحقيق العزة والكرامة، والنصر علىٰ الأعداء.

وكما كان (للجميلي) استدعاء وتوظيف للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فإن له مع الأمثال تناصًا أيضا، ومن ذلك توظيفه للمثل الشعرىٰ الذىٰ جاء في قصيدته (العتاب الصادق) إذ يقول: (من الطويل)

إذا غير الدولار خلق الصديق ... فسافر عن الدنيا بأدنىٰ صديق

تغير قارون فما ضر غيره ... فلا تحسبن الناس مثل الدقيق

مواعيد عرقوبٍ مواعيد شيخنا ... فعش داخل الكنز بدون شهيق

تُشيّدُ في دُنياك أعلىٰ بناية ... وأجسادُنا تبلىٰ بثوب عتيق(١)

فالشاعر في الأبيات السابقة يعتب علىٰ بعض أصدقائه المقربين، ويلفت أنظارهم بأن الصديق الصدوق لا تغيره الظروف والمصالح أىٰ كانت هي، ضاربا في ذلك المثل بقارون الذىٰ بغىٰ علىٰ قومه وتكبر عليهم رغم أنه كان واحد منهم وحاله كحالهم، وهذا المثل استنبطه من القرآن الكريم في قوله تعالىٰ: ﴿* إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ

(١) الديوان: ١١٠.

أُوْلِي ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ (١)، كما ضرب المثل بمن يخلف الوعد من الأصدقاء بمواعيد عرقوب الذىٰ ضرب به المثل في الكذب وخلف الوعد، وهو مثل مستنبط من الشعر، جاء في قول الشاعر كعب بن زهير: (من البسيط)

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا ... وما مواعيده إلّا الأباطيل (٢)

وقد أبدع (الجميلي) في توظيف هذا المثل بعدما اقتبس نصه من البيت السابق كما رأيت، ومن إبداع التناص في الأمثال عند (الجميلي) ما جاء في قصيدته (رثاء العريس) فيقول: (من البسيط)

يا صبر أيوب اسكن قلب فاضلنا ... يا حزن يعقوب قلب الشيخ في ورم

فارحم دموعًا علىٰ الخدين لاهبة ... عسىٰ اللقاء بدار الخلد والنعم (٣)

فسيدنا أيوب عليه السلام ضُرب به المثل في الصبر، كما ضرب بسيدنا يعقوب المثل فىٰ شدة الحزن علىٰ فقده ولده يوسف عليه السلام، ولقد استدعىٰ (الجميلي) هذين المثلين إسقاطًا علىٰ الواقع المر فىٰ فقد صديقه (عامر القرغولىٰ)، فالمثل الأول يتعلق بالصبر أتىٰ به لكي يتصبر علىٰ فقد صديقه الذي لحق بربه، والأخر ساقه للدلالة علىٰ ما أصابه من شدة الحزن علىٰ فقد هذا الصديق.

وكذلك يعد الشعر من المصادر الثرية التي يستلهم منها (الجميلي) بعض النصوص ليوظفها في شعره، إذ من الطبعي أن يحفظ من الدواوين الشعرية قبله، وذلك لإثراء مقدرته اللغوية، ومن ثم نجده يستدعىٰ بعض النصوص بما يخدم واقعه

---

(١) سورة القصص من الآية(٧٦) .

(٢)) ديوان كعب بن زهير- صنعة الإمام أبىٰ سعيد السكري – شرح ودراسة د/ مفيد قميحة – دار الشواف للطباعة والنشر، الرياض- الطبع الأولىٰ ١٩٨٩م: ١١٠ .

(٣)) الديوان: ١١٦ .

المعايش ويتخطىٰ به حاجز الزمن؛ ليضفي علىٰ النص إيحاءات ودلالات ومن ذلك ما نجده في قوله من قصيدة (وحدة الفؤاد وتعدد الأجساد): (من الرمل)

جعـــل الله جنـــاحي ديننـــا شـــيعة وســـنة طـــار بنـــا

يـــا زمـــان الوصـــل في أندلســـي بحصـــون الصـــين دينـــي زكنـــا(١)

فالشاعر يدعو بني وطنه سنة وشيعة إلىٰ التوحد والاعتصام بحبل الله جميعا، ففي الاتحاد قوة، وفي التفرق ضعف ووهن، فلا يكون لهم الغلبة علىٰ عدوهم حتىٰ يجتمعوا علىٰ كلمة سواء، ولهذا نجده يستدعىٰ شطرا من موشحة لسان الدين بن الخطيب المشهورة:

جـادك الغيـثُ إذا الغيـثُ همـىٰ يـا زمـانَ الوصـلِ بالأنـدلسِ(٢)

فالبعد الثالث الذي استعدىٰ الجميلي من أجله هذا البيت هو الرجوع بالماضي والنظر في حال الأندلس حيث كان المسلمون فيها أعزة ما داموا مجتمعين علىٰ كلمة سواء، حتىٰ تفرقوا ووهنوا وهزموا وضاعت الأندلس، وكذلك نجده يقتبس من التراث الشعري ما جاء في قصيدته (نشيد العرب) فيقول مستحثا قومه علىٰ الإقدام وعدم التخاذل: (من الكامل)

المـوتُ طعـمٌ واحـدٌ قـتلاً وحتـ ـفا كالحجـارة في بحـار نُغمَـرُ

لكـنّ ذكـرَ المـرءِ ماضـي بعـده هـذا جبـانٌ ثـم هـذا حيـدرُ

مـاتوا ومـا مـاتوا نـراهم بيننـا الـذكر عمـرٌ يخجـل أو يفخـرُ (٣)

---

(١) الديوان: ١٧٤.

(٢) الفن ومذاهبه في الشعر العربي، تأليف:شوقي ضيف (المتوفىٰ: ١٤٢٦هـ) - دار المعارف بمصر، الطبعة: الثانية عشرة: ٤٥٣.

(٣) الديوان: ١٣٣.

فالبيت الأول قد استلهمه من قول (ابن نباته السعدي) الذىٰ يقول فيه: (من الطويل)

ومن لم يمتْ بالسيفِ ماتَ بغيرِهِ تعددت الأسبابُ والموتُ واحِدُ(١)

والثاني والثالث اقتبسه من قول (شوقي) في رثاء (مصطفىٰ كامل): (من الكامل)

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائقٌ وثواني

فارفع لنفسك بعد موتك فالذّكر للإنسان عمرٌ ثاني(٢)

فالشاعر يدعو بني قومه من العرب أن يتحدوا جميعًا، وأن يقاوموا عدوهم ببسالة وشجاعة، لا يهابون الموت فالعمر محسوب، والذكر الحسن حياة ثانية هو الباقي للإنسان بعد موته، ولهذا قد أسقط قول (شوقي) السابق - في رثائه للزعيم (مصطفىٰ كامل) الذي كان ينافح المستعمرين المتكالبين علىٰ العرب وقتئذ- علىٰ هذا الواقع الذي تعيشه البلاد العربية الآن.

وهكذا نجد(الجميلي) قد أبدع في تناصه وتوظيفه أحسن توظيف، وقد غاص في أعماق التراث الإنساني عبر حقبه الزمنية الممتدة، مستلهما منها الدروس والعبر، ثم قام بإسقاطها علىٰ الواقع المعايش، ليبرز للمتلقي هذا الخيط الإنساني الممتد عبر العصور والذي يربط بين بنىٰ الإنسان في كل زمان ومكان، ومما يميزه عن غيره في هذا الباب أننا نجده قد يستدعىٰ أكثر من نص في موقف واحد.

(١) ديوان ابن نباته السعدي – تحقيق ودراسة / عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، ١٩٧٤م جـ١: ٨٧.

(٢) ديوان الشوقيات- لأحمد شوقىٰ - دار العودة بيروت عام ١٩٨٨م –المجلد الثانىٰ: ٣/ ١٥٨.

المحور الخامس: الإبداع التصوري

إن الخيال من أهم ما يميز الشعر عن غيره من فنون القول، وكذا مقدرة الشاعر علىٰ تشكيل صوره الفنية من خلال ألفاظه وأساليبه، ولهذا نجد أحد النقاد يعرف الصورة بأنها (هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص؛ ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة، مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتراكيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والجناس، وغيرها من وسائل التعبير)(١).

و(الجميلي) كغيره من الشعر الذين يرتمون في أحضان الطبيعة يستمدون صورهم منها، رغم ذهاب بصره منذ صغره، كما حفل شعره بلوحات فنية رائعة أبدع فىٰ تشكيلها، وكأنه رسام بارع، ينسج تفاصيله بواسطة ألفاظه الحية الناطقة وتراكيبه وإمكاناته الدلالية، وخير مثل علىٰ ذلك هذه اللوحة الفنية التىٰ أبدعها علىٰ إثر رحيل شيخه (عبد الكريم الزيدان) فيقول عنه: (من الكامل)

عبد الكريم ولم أزل لك طالبا ... كنت الفقيه وكنت حقا راهباً

ربيتنىٰ غضا فغصنا مثمراً ... ولأنت حقاً والدٌ لما حبا

من وارث عن أمجدٍ فقه السما ... يا مرشدىٰ لولاك ما زهر الربا

من عصرنا مالي أرىٰ سواك منارة ... أعرجت في أعلىٰ المجرة كوكبا

بغداد جودي بالدموع علىٰ السنا ... قد غار دجلة فاندبي دنيا الإبىٰ

---

(١) الاتجاه الوجداني فىٰ الشعر العربي المعاصر- عبد القادر القط- دار النهضة العربية- بيروت عام ١٩٧٨م: ٤٣٥.

بغداد أضحىٰ القلب في لهب الجوىٰ ... في الفجر أبكىٰ ثم أبكىٰ مغربا
حتىٰ إذا جن الظلام حسبته ... كالشمس يأفل ثم يبزغ مرحبا
لو تفتدىٰ روحي فداك رخيصة ... قد كنت حقًا للفضيلة مأربا
ولأنت حقًا عالم بل مرشد ... لا تبتغىٰ غير الشريعة مطلبا
قد كنت بحراً لا ضفاف تحده ... ما كنت بحرا مغبرا أو متربا
بل كنت بحراً للشريعة زاخراً ... والاستقامة قد تجلت مركبا(١)

يصور الجميلي حالة الحزن العارمة علىٰ رحيل أستاذه (عبد الكريم الزيدان)، غزير العلم، طيب الذكر، فيتخيل أنه لا يزال حيا لم يمت يتعلم منه كالعادة فالطلب لا يتأتىٰ إلا من الأحياء، ثم صار (الجميلي) غصنا مثمراً نافعًا إذ هو من ثمرة من ثمرات زرع شيخه الذىٰ أخذ يتعهد كما يتعهد غيره من طلاب العلم، ويعتني به منذ صغره، فلولاه ما نبتت الأرض ولا أثمر الزرع، ثم نجده يجعل لتلك الصورة ظلالاً فيمن حوله فيطلب من بغداد الدموع الغزار علىٰ هذا العالم النحرير والفقيه النابه، فقد كان بالنسبة لبغداد شريان الحياة ونهر العطاء الذىٰ يخصب أرضها، والكوكب الدري الذىٰ يضئ سماءها، فأظلمت حينما أفل نجمه وهوىٰ من سماء بغداد.

ونلاحظ أن ثمة صور جزئية متعددة تآزرت حتىٰ كونت هذا المشهد الباكي علىٰ هذا الفقيه الراحل، حيث قد جمعت إحساس الشاعر وحزنه علىٰ ما أصابه من فقده لشيخه وهو موافق لوجدانه، والصورة ما هىٰ إلا ترجمان للحالة النفسية التي يعانيها الشاعر.

(١) الديوان: ٩٩.

ولقد نجح (الجميلي) في توظيف العبارات والتراكيب اللغوية في بناء تلك الصورة مثل: (ربيتني غضا – فغصنا مثمرا – بغداد جودي بالدموع - قد غار دجلة فاندبي-كنت بحراً لا ضفاف تحده- كنت بحراً للشريعة زاخراً) فقد وفق الشاعر في تصوير حالة الحزن الشديدة علىٰ فقد هذا العالم العلامة، كما عبر عن حالته النفسية أيما تعبير حيث بالغ في بكائه له فقال: (في الفجر أبكىٰ- ثم أبكىٰ مغربا)حتىٰ صار دمعه مدرارا لا ينقطع صباحا ومساء.

ولنتصفح ديوان الجميلي لنشاهد مشهداً حزينا آخر، نجده يستلقي علىٰ ظهره؛ فيستعرض شريط الذكريات، حيث يصور حالته النفسية حينما فقد بصره من خلال قصيدة (بكاء في الليل) فيقول: (من الطويل)

دعوني علىٰ عيني أشق وألطم ... فلا خير في الدنيا إذا النور مبهم

سجين من المهد إلىٰ اللحد باكيًا ... وبعد حساب القبر الخلد يرسم

تذكرت أيام الصبا في شبيبتي ... فكان الصبا نارا تفور وتكظم

وأقبح بأيام الشباب بأنها ... ظلام وحرمان وهجر مركم

أعيني قوما للقضاء سوية ... فلا بد من جان يدان فيحكم

فقالت لي العينان دعنا فإننا ... بريئان بل أنت الصفيق المذمم

أعيني سهما في الفؤاد قذفتما ... ألم تسملا بالشوك والسم بلسم

فأصبحتما ناراً وأصبحت راقصًا ... كذا الطير عند الذبح رقصًا يؤلم(١)

فنجد (الجميلي) يأنس بالليل فيرجع بالذاكرة إلىٰ الوراء، وإذ به يتوقف عند مشهد مؤلم من حياته، حيثما كان طفلا صغيراً فقد عضواً مهما من أعضاء جسده،

(١) الديوان: ١٤٢.

وهو عينه وما أصابه من هلع شديد جراء هذا الفقد المؤلم الذىٰ حول الدنيا من حوله إلىٰ ليل بهيم، وسجن محكم، لذا حينما اختار عنوانًا للقصيدة بـ (بكاء في الليل) أجده لا يقصد الليل الزمني، بل يقصد الليل الأبدي والظلام المستمر الذىٰ لا يأتي بعده نهار، ثم نجده يحاول إحكام درامية المشهد من خلال التجريد فيخاطب عينه ويقصد حال نفسه، فيناديها أن تنهض صحيحة من عالم الفناء لتثأر لنفسها من ذا الجاني الذىٰ عبث بها إذ لا بد من جانىٰ، لكن العين ردت بإلقاء اللوم عليه، ثم إنه قد صار كالطير المذبوح من فرط الألم، ولقد دعم الصورة بالكثير من الحركات التي تدل علىٰ فرط الألم من شق للثياب ولطم للخدود، وهيئة الطير المذبوح وحركاته يمينًا ويساراً، أعلىٰ وأسفل، وكأنه مشهد سينمائي يقدمه (الجميلي) عبر شاشاته الشعرية، أما الألوان والظلال فلم يبرز لنا سوىٰ اللون الأسود؛ وذلك من أثر فقده لعينه، وحينما يتحدث عن النور عبر عنه بأنه قد صار لديه مبهمًا.

إننا نجد (الجميلي) غالبا ما يجنح إلىٰ عالم الخيال ويبدع في وصف مشاهد غير محسوسة، وذلك بحكم فقده آلة التصوير الخارجي وهي العين، فمثلا نجد ذلك في قصيدته (مناجاة النوم):

فؤادي تلظىٰ بهجر الوسن	ولو يشترىٰ النوم روحي الثمن
يعس الليل ركوم الدجىٰ	ويبلج صبحي ركوم الشجن
صباح مساء حريق الحشا	إلىٰ أن أزف بلبس الكفن
أيبقىٰ فؤادي أسير الدجىٰ	متىٰ ينتهي العمر طر يا زمن
وينعم قرد بحسن الظبا	دمائي سجت من شواظ المحن
تطاول ليلىٰ ولا ظبي لي	لتطفأ ناري وتضوي السكن
ولم أبغ غير التي خلتها	تنير الفؤاد بصوت حسن
أحبك يا نوم من أجلها	بطيف الحبيبة أزجىٰ الحزن

ألا أيهـــا النـــوم أنـــىٰ فتـــىٰ بـــرئ وديـــع كطيـــر الفـــنن
يـــؤرقني الـــدهر منـــذ الصـــبا أســـرت بمهـــد كزهـــر الغصـــن
يقـــبلن الكـــل عطفـــا علـــىٰ حيـــاة الظـــلام وتحـــرق دمعـــة
مـــن الأم والأخـــت يـــا للجـــوىٰ أمـــوت مـــراراً وأحيـــا أســـىٰ
شـــبابي تلظـــىٰ بنـــار الصـــبا ويـــا ليـــت ذكـــراه لـــم تختـــزن
يهـــيج بقلـــب اللظـــىٰ مثلمـــا يهـــيج الوقـــود جمـــار الغضـــىً
إذا شـــئت لعبـــا مـــع التـــراب لـــم أصـــب غيـــر صـــدم بـــدون هـــدىً
ويضـــحك طفـــل وتبكـــي الضـــبا وأرتـــد طوعـــا ولـــم أنهلـــن(١)

وتتمركز الصورة حول عنوان القصيدة كإحدىٰ أهم العتبات النصية، فالبداية كان الحديث مع النوم الذىٰ أصر علىٰ هجره، فقرر أن يبذل الغالي والنفيس في رده إليه، ولو كان الثمن هو أن يبذل روحه شخصيًا، ونلحظ دائمًا أن الصور لديه تبدو سوداوية مظلمة، فالليل مظلم يعلوه ركام هائل من فوقه ركام، حتىٰ إذا أقبل عليه الصباح جاءه محملاً بركام من الهم والحزن، فيومه هو غده وصباحه مثل مسائه، فليس هناك جديد ما أشبه الليلة بالبارحة؛ لذا فإننا نجده يخاطب النوم متلطفا في خطابه لعل وعسىٰ أن يجود بوصاله حتىٰ يستريح من تعب الحياة ومآسيها، مما أطال عليه الليل وهذا الظلام الدائم السرمدي، حتىٰ صارت حياته موضع شفقة من الجميع ممن حوله، وكلها صور مترعة بالحزن ومليئة بالهموم.

(١) الديوان: ١٤٤.

المحور السادس: الإبداع الموسيقى

ومن أهم العناصر الإبداعية المميزة للشعر عن غيره من الأجناس الأدبية عنصر الموسيقىٰ، إذ يرىٰ أحد النقاد أنها في العموم هىٰ: (إحدىٰ الفنون الجميلة التي سماها العرب بالآداب الرفيعة، وهىٰ الرسم والنحت والشعر والموسيقىٰ، بل ربما هىٰ أهم الفنون عامة، فهي شقيقة الشعر والنثر، والمسرح، والرسم والتصوير والسينما.. وما إلىٰ ذلك) (١).

والعلاقة بين الشعر والموسيقىٰ " علاقة عضوية تجعل من النص الشعرىٰ صورة فنية متماسكة، فهي لب الشعر وعماده الذي لا تقوم به قائمة بدونها "(٢)ومن ثم فالموسيقىٰ ليست وسيلة للطرب والإمتاع فحسب بل يتكئ عليها الشاعر في توصيل أجواء القصيدة إلىٰ المتلقي، وفىٰ هذا الصدد نجد د/ محمد مندور يقول: (الموسيقىٰ الشعرية إحدىٰ الوسائل المرهفة التي تملكها اللغة للتعبير عن ظلال المعاني وألوانها بالإضافة إلىٰ دلالة الألفاظ والتراكيب اللغوية) (٣)؛ ولهذا يرىٰ النقاد أن الموسيقىٰ الشعرية تنقسم إلىٰ قسمين خارجية وداخلية.

أما الخارجية فتعني الموسيقىٰ القائمة علىٰ الوزن والقافية، والناظر في ديوان حوار مع الدنيا للشاعر الجميلي يجد أنه كان محافظًا علىٰ ثوابت القصيدة العربية من حيث السير علىٰ النمط الخليلي، ولم يخرج عنه نهائيًا، ومن خلال النظر في ديوان

---

(١) الموسيقا علم وفن ولغة- تأليف/ عبد الحميد توفيق زكىٰ، بدون تاريخ وطبعة: صـ٨.

(٢) فصول فىٰ الشعر ونقده- تأليف/ د-شوقىٰ ضيف، دار المعارف-مصر ١٩٧١م: صـ٢٩.

(٣) الأدب وفنونه- تأليف/ د- محمد مندور، مكتبة نهضة مصر بالقاهرة عام ١٩٦١م: صـ ٢٩-٣٠.

حوار مع الدنيا نجد (الجميلي) قد نظم في البحور الطويلة ففيها وجد مندوحته واحتوت موضوعاته، وفيْ الجدول التالي بيان لذلك:

البحر	الطويل	الكامل	البسيط	الوافر	المتقارب	الرمل
عدد القصائد	٢٢	١٣	١٣	٨	٥	٣

ويتضح من الحصر السابق أن بحر الطويل يأتي في طليعة البحور التي استعملها الجميلي من ناحية الكثرة العددية حيث قد نظم اثنين وعشرين قصيدة في أغراض متعددة، وهو من البحور ذوات التفعيلتين المكررتين وأجزاؤه هي:(فعولن – مفاعيلن– فعولن –مفاعيلن) مرة في كل شطر، وليس بين بحور الشعر ما يضارع البحر الطويل في نسبة شيوعه، فقد جاء ما يقرب من ثلث الشعر العربي القديم من هذا الوزن(١)، وقد نظم علىْ أوتار هذا البحر سبع قصائد في الوطنية، وسبع قصائد أخرىْ في الغزل، وخمس قصائد في الرثاء، وقصيدتين في التصوف، وقصيدة في الصداقة والعتاب.

وكذلك نظم (الجميلي) علىْ قيثارة بحر الكامل ثلاث عشرة قصيدة، ومعلوم أنه من البحور ذوات التفعيلة الواحدة المتكررة وهي (متفاعلن) ست مرات، ويتميز بحركاته الكثيرة المتتالية، (ولما كان من أكثر بحور الشعر غنائية، ولينا، وانسيابية وتنغيما واضحًا) (٢)، فإنه من أكثر البحور طواعية للعديد من الموضوعات، حيث

(١) موسيقىْ الشعر– تأليف/ د– إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية ط٣عام ١٩٥٢م: صـ ٥٧.

(٢) موسيقىْ الشعر العربىْ قديمه وحديثه (دراسة وتطبيق فىْ شعر الشطرين والشعر الحر) – تأليف/ د– عبد الرضا علىْ، دار الشروق عام ١٩٩٧م: صـ ٤٤.

قد نظم على أوزانه خمس قصائد في الوطنية، وأربعا في الغزل، واثنتين في الرثاء، وقصيدة واحدة في التنافس العلمي، وأخرى في الصداقة والعتاب.

وعلى دقات طبول بحر البسيط ينظم الجميلي أيضا ثلاث عشرة قصيدة (وهو ذو وجهين متناقضين هما العنف واللين، والفخامة والرقة، وهو ذو تفعيلات طويلة حافلة بالجلالة والعمق والرصانة) (١)، ولهذا فقد صلح مع الرثاء والغزل، حيث قد نظم في الرثاء ثمان قصائد على أوزان هذا البحر، وفي الغزل ثلاث، وفي الوطنية قصيدتين.

ويأتي الوافر في المرتبة الرابعة فيما نظم على أوزانه (الجميلي)، حيث قد نظم ثمان قصائد على أوزانه لأنه من البحور التي تميز" بسرعة نغماته وتلاحقها مع وقفة قوية سرعان ما يتبعها إسراع وتلاحق، وهذا يتطلب من الشاعر أن يأتي بمعانيه دفعا، وكذلك هو من أصلح البحور للقطع، إذ القطعة تتطلب من الشاعر أن يحصر نفسه في غرض واحد، وأن يتفق كل ما عنده من بلاغة وحذف في أدائها"(٢)، وهو ما لاحظناه على القصائد الثماني حيث إن أطولها لم يتجاوز الخمسة عشر بيتًا، وكما نجده يدخل في موضوعاتها مباشرة دونما مقدمات فعلى سبيل المثل يقول في رثاء صديقه (سعيد حليبي): (من الوافر)

رواسي الشهب قد أضحت مهيلا بفقد سعيدها الشهم الفضيلا(٣)

(١) منهاج البلغاء، وسراج الأدباء، تأليف / حازم القرطاجني، تحقيق / محرر الحبيب ابن خوجه، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١ م، صـ ٢٦٩.

(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، د / عبد الله الطيب المجذوب، دار الفكر: ٢٣٠، وما بعدها(بتصرف) .

(٣) الديوان: ١٠١.

وأما بحر المتقارب فقد نظم (الجميلي) علىٰ ألحانه التي تشبه دقات الطبول وخطوات الجند المنتظمة خمس قصائد وذلك (لما فيه من تدفق ورتابة تعتمد علىٰ إيقاع مكرر سلس) (١)، ومن ثم فقد نظم منه قصيدتين في الوطنية، واثنين في الغزل، وواحدة في المدائح النبويّة، ولننظر إلىٰ هذه السهولة والانحدار الموسيقىٰ في مطلع قصيدة (نبي الهدىٰ) إحدىٰ مدائحه النبوية حيث يتناسب ذلك مع حب الجناب النبوي الشريف؛ فيقول: (من المتقارب)

نبي الهدىٰ أنت نور الأنام أغرٌّ إمامٌ لكل إمام
نبي الهدىٰ أنت ومض النجوم وحد الحسام ودنيا السلام
لأهديك روحي وشعري وسفري وهذا لعمري لنزر السجام
لأنك قد أنقذتنا من فناء لأنك قد أخرجتنا من ظلام(٢)

أما بحر الرمل فقد نظم علىٰ أوزانه ثلاث قصائد في الوطنية (ولما كانت وحدته الإيقاعية هي تفعيلة (فاعلاتن) فإن تكرارها بتغيير طفيف جعل هذا الوزن بعيدا عن الرتابة قابلا للحركة) (٣)، ولهذا كان هذا البحر أكثر طواعية لأن ينظم الجميلي عليه قصته الشعرية الوحيدة التي مطلعها:

يا سعاد الكوت رفقا بالقدر قد أصاب السهم مكفوف البصر(٤)

(١) موسيقىٰ الشعر العربىٰ قديمه وحديثه: ١٠٢.
(٢) الديوان: ١٠٦.
(٣) موسيقىٰ الشعر العربىٰ قديمه وحديثه: ٩١.
(٤) الديوان: ١٤٨.

وأما بالنسبة للقافية فهي من الأهمية بمكان في إبراز الموسيقىٰ الداخلية في البيت الشعري إذ تعد (بمثابة الفواصل الموسيقية، يتوقع السامع ترددها، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة، وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمىٰ بالوزن) (١).

فهي عنصر مهم في إقامة النظم الشعرىٰ فبدونها لا يمكن أن يطلق علىٰ الشعر شعراً (فهي شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمىٰ شعراً حتىٰ يكون له وزن وقافية) (٢).

والحقيقة أن الناظر في ديوان (الجميلي) حوار مع الدنيا يجد أنه قد سار علىٰ الدرب (الخليلي) الملتزم بالقافية ذات الروي الموحد ولم ينوع فيها، وهذا ليس بمستغرب عليه لأنه شاعر محب لموروثه العربي الأصيل لغة ووزنـًا، وفىٰ الجدول التالي إحصائية توضح الحروف التي استعملها لتكون رويـًا لقصائده التي نظمها:

حروف الروي	أ	ب	ح	د	ر	ف	ق	ك	ل	م	ن	الياء
عدد القصائد	٥	٦	١	٥	١١	١	٢	٢	٣	١٥	٥	٥

ومن المعلوم جيداً أن هناك حروفـًا استخدمها العرب رويا لقصائدهم بكثرة، وحروف متوسط الاستخدام(٣)، وحروف نادرة الاستعمال، ويلاحظ من خلال الجدول السابق أن الجميلي قد استخدم من الحروف العربية ليكون رويـًا لقصائده ما كان شائعـًا في الاستعمال العربي بكثرة، حيث قد استعمل حرف الميم خمس عشرة

(١) موسيقىٰ الشعر: ٢٤٦.

(٢) العمدة فىٰ محاسن الشعر وآدابه: ١/ ١٥١.

(٣) موسيقىٰ الشعر: ٢٤٨.

مرة، والراء إحدىٰ عشر مرة، والباء ست مرات، والدال خمس مرات، والنون خمس مرات، والياء خمس مرات، ولم يختر الجميلي لهذه القوافي إلا لعلمه أنها من القوافي الجياد التي استعملها القدماء واستلهمها الشعراء فىٰ شعرهم.

أما الحروف المتوسط الاستعمال فقد استعملها الجميلي كحرف روي كلها فيما عدا الجيم لكن استعمالها لم يكن علىٰ ذات القدر الذي استعمل فيه الحرف الشائع الاستخدام عند العرب حيث قد استعملها ما بين المرة والمرتين والثلاث، في حين أنه لم يستعمل الحروف النادرة الاستعمال عند العرب، وهذا يعنىٰ أن الجميلي شاعر عربي أصيل واسع الثقافة وعلىٰ دراية كبيرة بحروف الأبجدية العربية وما يصلح منها وما لا يصلح.

وأما بخصوص الموسيقىٰ الداخلية القائمة علىٰ جرس الألفاظ وإيحاءاتها، والمنبعثة من الانسجام الصوتيين الحروف والكلمات داخل البيت، وتتمثل في التقسيم الصوتي لمقاطع البيت، وتكرار الحروف، هذا بالإضافة إلىٰ المحسنات اللفظية كالسجع والجناس وغيرها، ولهذا يعرف النقاد الموسيقىٰ الداخلية بأنها (وحدة النغمة التي تتكرر علىٰ نحو ما في الكلام أو في البيت، أي توالىٰ الحركات والسكنات علىٰ نحو منتظم في فقرتين أو أكثر من فقر الكلام، أو في أبيات القصيدة)[1]، وفيما يلي عرض لبعض الشواهد علىٰ ذلك:

فمن النماذج الدال علىٰ حسن التقسيم قوله معزيا صديقه جمال جمعة الجميلي في قصيدته (البدر الآفل): (من الكامل)

(١) النقد الأدبي الحديث – د/ محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطباعة والنشر عام ١٩٩٧م: ٤٣٥.

ريب المنون بلا رجوع في الورىٰ إما نعيم أو جحيم يلهب
قد قالت الأيام قولا صادقًا كل الذي يأتي قريبا يذهب
لا تيأسوا لا تفرحوا لا تنبحوا فالموت ضيف فأكرموه ورحبوا
يبكي الجميلي الجمال بشعره إن الجمال إلىٰ الفؤاد محببُ(١)

وهذا ديدن الجميلي في العديد من النماذج يحسن التقسيم فيها بحيث يقوم (بتجزئة البيت إلىٰ مواقف يسكت فيها اللسان أو يستريح أثناء الأداء الإلقائي)(٢)، وقد لحظ ذلك في الأبيات السابقة إذ تجد التقسيم الجيد للمقاطع مثل قوله: (نعيم، جحيم)، وقوله (قولا، صادقا)، وأيضا حسن السكتات علىٰ قوله (لا تيأسوا، لا تفرحوا، لاتنبحوا)، هذا فضلا عن التوافق النغمي بين قوله (الجميلي، الجمال)، فالتخير الدقيق للكلمات وتتابع الحروف بشكل جيد يثير العواطف لدىٰ المتلقي ويجعله يتأثر بتأثر الشاعر وحزنه علىٰ فقد صديقه، كما يعكس ما يكنه هذا الشاعر المخلص لصديقه الراحل وشدة وفائه له.

كما أننا نلاحظ دوما حسن تقسيمه للمطالع ومن ذلك ما قاله في رثاء عينيه وحزنه الشديد علىٰ فقدهما: (من الطويل)

دعوني علىٰ عيني أشق وألطم فلا خير في الدنيا إذا النور مبهم
سجين من المهد إلىٰ اللحد باكيًا وبعد حساب القبر الخلد يرسم(٣)

(١) الديوان: ١١٥.
(٢) المرشد إلىٰ فهم أشعار العرب: ٦٩٦.
(٣) الديوان: ١٤٢.

فحسن التناسب بين (دعوني، وعيني)، (وأشق، وألطم)، و(المهد، واللحد)وتناسب الفقرات، وحسن الإيقاع، وتكرار حروف بعينها ما يجعل من هذا المطلع سيمفونية حزينة تتلاءم مع الجو العام للقصيدة وهذا الحزن العارم علىٰ فقد حبيبته، ومن تكرار الحروف التي تولد عنها الموسيقىٰ الداخلية، لا سيما إذا كانت هذا الحروف المكررة تتفق مع حرف الروي؛ ليحدث طربا عند السامع، وفي ذلك يبدع الجميلي في قصيدته (الدموع الحامية علىٰ الفلوجة الدامية): (من الكامل)

القتل ثم الموت طعمٌ واحدٌ لكن طعم الحور أروع ميسم

يا أمتي الشر يبغي قبلتي ما بعد مكة غير ليل معتم

ما بعد مكة غير جرح نازف ما بعد مكة غير طعم العلقم(١)

فنلاحظ تكرار (الميم) في كل بيت من الأبيات السابقة ست مرات، وكذا تكرار المقطع الصوتي(ما بعد مكة) ثلاث مرات، ما يؤكد علىٰ الصمود ضد العدو ومجابهة الشر، وهذا التوازن سر التدفق النغمي، وإحداث ترجيع موسيقىٰ وترديدا يستشعره القارئ والسامع.

ومن الألوان البديعية التي أبدع الجميلي في استخدامها الجناس، ولا شك أنه يضفي علىٰ الشعر جوا موسيقيا يطرب الآذان ويهز النفس، لا سيما إن أحسن الشاعر استخدامه دون تكلف، فإنه حينئذ يشيع تواؤما موسيقياً أخاذاً، لما يحدثه من تماثل في النغمات والإيقاعات أو من تقاربها، وإليك طائفة من النماذج التي توضح ذلك من أقوال الجميلي:

(١) الديوان: ٩٦.

إن مات ألف بالقذائف لم يمت إلف الوصال لأنه يستنسر[١]

ومنه قوله أيضًا:

حكمنا بلاد الله بالعدل والتقىٰ وكنا أمانا للأنام ومذهبا[٢]

ومنه أيضا:

أسير كسير صار دهري جهنّمًا ولكن نجوىٰ الله في القلب تهتف[٣]

ويقول أيضا:

أفلت عنا ولم تشرق مع القمر الموت آت وإن كنا بلا سقم[٤]

فتماثل الكلمات وتقارب حروفها في المخارج الناتج عن استعمال الجناس في(ألف، وإلف)، وقوله (أمانا، والأنام)، وأيضًا (أسير، وكسير)، و (الموت آت)، وغيرها من الشواهد كثير، قد أحدثت نوعًا من الموسيقىٰ التي تأسر الآذان، وتهتز لها أوتار القلوب، والنفس الإنسانية بطبعها تميل لتلك الأنغام وستريح لوقعها الحسن.

ويعد التصريع من المحسنات البديعية التي أبدع الجميلي في استخدامها، ويراد به (استواء آخر جزء في صدر البيت وآخر جزء من عجزه في الوزن والروي والإعراب؛[٥]حتىٰ يحسن التناسق والنغم) [٦]، وقد وقع هذا النوع في مطالع قصائد ديوان حوار مع الدنيا للجميلي، بلا استثناء ومن شواهد ذلك قوله: (من البسيط)

---

(١) الديوان: ١٣٣، وقد وردت همزة (إن) مفتوحة والصواب أنها مكسورة، وكذلك (إلف) وردت همزتها مفتوحة والصواب أنها مكسورة.

(٢) الديوان: ١٢٤.

(٣) الديوان: ١٣٤.

(٤) الديوان: ١٢٨.

(٥) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ١/ ١٧٣.

(٦) والكافي في العروض والقوافي، الخطيب التبريزي، ص: ٢٠.

عيـــد بفلـــوجتي قتـــلٌ وإيـــلامٌ الله أكبـــرُ إنَّ العُـــرب نـــوّامُ(١)

فالاتفاق بين كلمتي(إيلام) و(نوام) في الوزن والروي والإعراب كان له وقع موسيقىٰ وتأثير استطاع الجميلي من خلاله أن يجذب انتباه المتلقي لا سيما أن الحديث عن الوطن وما حدث له من خراب ودمار علىٰ يد المحتل الغاصب في يوم كان المنتظر فيه أن يفرح الناس بالعيد.

وقوله أيضا في مطلع قصيدة رثاء الأرواح:(من الكامل)

عبـد الكـريم ولـم أزل لـك طالبـا كنـت الفقيـه وكنـت حقـا راهبـًا(٢)

وقوله أيضا: (من الوافر)

رواسي الشهب قد أضحت مهيلا بفقـد سـعيدها الشـهم الفضـيلا(٣)

وقوله: (من الوافر)

إلـىٰ الحربـي شـكري وامتنـاني هـو الخيـر بـه الله حبـاني(٤)

وقد استطاع الجميلي من خلال هذا التصريع الغير متكلف أن يجذب انتباه المتلقي من بداية القصيدة ويثير انتباهه؛ لذا فقد وقع في جميع قصائد الديوان بلا استثناء، ولقد أحسن المجيء به نتيجة لإبداعه وبراعته في إثراء موسيقاه عند المتلقي ليستولي علىٰ مشاعره منذ اللحظة الأولىٰ.

(١)) الديوان: ٩٧.

(٢) الديوان: ٩٩.

(٣) الديوان: ١٠١.

(٤) الديوان: ١٠٥.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد... فهذه الدراسة التي جاءت بعنوان" عناصر الإبداع الفني في شعر خالد رشيد الجميلي (ديوان حوار مع الدنيا)– دراسة نقدية "، وقد أظهرت عدة أمور نستطيع أن نجمل فيها ما يلي:

بعد هذه الجولة في ميدان الجملي الشعرىٰ، تلك الجولة التي حاولت استكشاف بعض الجوانب الإبداعية في عالم خالد رشيد الجميلي الشعرىٰ، أتوقف هنا لأقول: مازال هناك الكثير من الجوانب الإبداعية التي تستحق الدراسة؛ فميدان الجميلي الشعري رحب فسيح يتبارىٰ فيه الباحثون، وديوانه حوار مع الدنيا مادة دسمة فيه مندوحة الدارسين في موضوعات شتىٰ.

لقد استطاع الجميلي أن يحلق بشاعريته في معظم الجوانب الحياتية مستلهمًا موضوعاته التي يريد أن ينظم فيها عن طريق أسلوب حواري انفرد به وحده، إذ يفترض أن الدنيا تطلب منه أن ينظم في موضوع ما فيجيبها علىٰ الفور ملبيًا لمطلبها فيبدع فيه.

لقد جاءت قصائد الجميلي متوسطة الطول ليست بالطويلة ولا بالقصيرة تتراوح أبياتها ما بين الثمان والخمسة عشر بيتًا، والقليل من يتجاوز ذلك، كما اتسمت هذه القصائد بسمة فنية هي الوحدة الموضوعية، إذ يبدأ الجميلي في الموضوع مباشرة دونما تقديم، ومن الملاحظ أن جوا نفسيا قاتمًا حزينًا قد سيطر عليها، حتىٰ غزله جاء علىٰ نمط الغراميين الذين يتذللون في حرم المرأة ويتعذبون بنارها، وربما كان السبب في ذلك فقده لعينيه التي يطل بها علىٰ الدنيا.

اتسمت لغة الجميلي بالسهولة رغم تشبثه بالموروث الشعري القديم ومحاولة الاقتناص منه ما أمكن، لكن ألفاظه جاءت سهلة جزلة بعيدة عن التعقيد والغموض

والتعمية اللهم إلا في القيل النادر، مع محاولة إدخال بعض الألفاظ المتداولة علىٰ الألسنة في الحياة العامة والوسائل الإعلامية المختلفة؛ وذلك لتواصله ومتابعته لقضايا مجتمعه ومجريات الأمور من حوله.

لقد تحلت ألفاظه بالجرس الموسيقىٰ الرنان القريب من الأنشودة الغنائية، فاستعمل التكرار بصورة لافتة للنظر، كما استخدم الثنائيات المتضادة بشكل قد أوضح مكنون نفسه الشاعرة وخباياها الثائرة.

لقد حاول الجميلي أن يشكل صوره الإبداعية بآلة اللغة الفنية متضمنة طموحاته في شتىٰ ميادين الحياة، فتضمنت لواحات فنية قوامها التشبيه والاستعارة والكناية، فأضف الحياة علىٰ من لا حياة فيه تدب، ولا عين تطرف، ولا قلب يخفق، كما لعبت الألوان والظلال والأصوات دورا كبيرا في تشكيلها، ولكنها جاءت –في أغلبها– ظلامية قاتمة بسب فقده آلة النظر التىٰ من خلالها يلتقط الصور، ويحكم نسجها، ومن ثم فقد جاءت من خلال عالمه الصامت وفكره الحائر.

الجميلي شاعر عربي أصيل معتز بقومه وقوميته لم يحد عن استعمال التراث الشعرىٰ المتوارث والنمط الخليلي المتبع.

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: الحديث الشريف

١. أبيات مختارة تشتمل على: عقيدة، نصائح، مواعظ، وصايا، حكم، أمثال، أدب -تأليف: عبد الله بن محمد البصيري، الناشر: مطابع الحميضي الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٢. **الأدب وفنونه**- تأليف/ د- محمد مندور، مكتبة نهضة مصر بالقاهرة عام ١٩٦١م.

٣. **الخصائص الأسلوبية في شعر بدوي الجبل** – عصام شريح، منشورات اتحاد الكتاب.

٤. **ديوان الشوقيات**- لأحمد شوقي - دار العودة ببيروت عام ١٩٨٨م – المجلد الثاني.

٥. **ديوان حوار مع الدنيا** تأليف / خالد رشيد الجميلي (ت ١٤٤٤هـ)، دار رواد المجد ت. ط .

٦. **سيرة أد /خالد رشيد الجميلي** (ت ١٤٤٤هـ)، بقلم وليد الحلبوسي.

٧. **العمدة في محاسن الشعر وآدابه** – لابن رشيق القيرواني- ت/ محمد محي الدين عبد الحميد- دار الجبل- ط الخامسة عام ١٩٨١م.

٨. **فصول في الشعر ونقده**- تأليف/ د-شوقي ضيف، دار المعارف-مصر ١٩٧١م.

٩. **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، تأليف: شوقي ضيف (المتوفى: ١٤٢٦هـ)- دار المعارف بمصر، الطبعة: الثانية عشرة.

١٠. **قضايا الشعر المعاصر** – نازك الملائكة، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة.

١١. **الكافي في العروض والقوافي**، الخطيب التبريزي.

١٢. **لسانيات الاختلاف**- محمد فكري الجزار – الهيئة العامة لقصور الثقافة – سلسلة كتابات نقدية عام ١٩٥٠م: صـ ٤٥٩.

١٣. **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها**، د / عبد الله الطيب المجذوب، دار الفكر .

١٤. **مسند أحمد**، تأليف/ أبىٰ عبد الله الشيبانىٰ، ت/ شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، مؤسسة دار الرسالة، ط١ / ٢٠٠١م.

١٥. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تأليف أبو عبد الله الشيباني، ت- شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرو – مؤسسة الرسالة ط١: ٢٠٠١ م.

١٦. **منهاج البلغاء، وسراج الأدباء**، تأليف /حازم القرطاجني، تحقيق / محرر الحبيب ابن خوجه، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١ م.

١٧. **الموسيقا علم وفن ولغة**- تأليف/ عبد الحميد توفيق زكىٰ، بدون تاريخ وطبعة.

١٨. **موسيقى الشعر العربي قديمه وحديثه** (دراسة وتطبيق في شعر الشطرين والشعر الحر)- تأليف/ د- عبد الرضا علي، دار الشروق عام ١٩٩٧م.

١٩. **موسيقى الشعر**- تأليف/ د- إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية ط٣عام ١٩٥٢م.